مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٨)، العدد (١)، ص ص ١٤١-٢٠٥، (محرم ١٤٣٦هـ/ أكتوبر ٢٠١٤)

أنماط العلاقة بين الشعراء والذئب من العصر الجاهلي حتى سنة ٤٥٠هـ
دراسة موضوعاتية

د. إبراهيم بن علي الدغيري
أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
بكلية اللُّغة العربية والدِّراسات الاجتماعية
جامعة القصيم

ملخص البحث. حاول هذا البحث تحليل موضوع الذئب في أشعار العرب في الحقبة الممتدة من العصر الجاهلي حتى سنة ٤٥٠ هـ من منظور العلاقة الرابطة ما بين الشعراء والذئب، وكان يدرس تاريخية العلاقة بين الذئب والعربي، وكيف عاش العرب معه واقعيا عدوا محذورا فحسب، وخياليا عدوا وصاحبا وما بين ذلك.

لقد كان الموقف الطبيعي من الذئب أن يكون موقفا عدائيا لكن المخيال الشعري ذهب بالشعراء غير هذا المذهب، فجاء التعبير الشعري مخالفا للمسلك الواقعي وهذا ما أعطى الموضوع ثراء وميزة.

لقد حصر البحثُ في الحقبة المستهدفة العديدَ من النصوص الشعرية التي تناولت الذئب وفقا لأنماط علاقة الشعراء معه؛ فبلغت النصوص سبعة وعشرين نصا منذ العصر الجاهلي حتى سنة ٤٥٠ هـ.

وقد خلص البحث إلى أن مواقف الشعراء من الذئب اتخذت ثلاثة اتجاهات:

موقف المصاحبة للذئب، والمحايدة، والمعاداة، وقد جاءت تلك المواقف متقاربة في التوزيع العددي، حيث صاحب الذئب عشرة شعراء، ووقف منه محايدا أحد عشر شاعرا، وعاداه ثمانية، وهذا ما يمهد لدراسات لاحقة قد تستفيد من تعميق البحث في هذا المجال الثري.

مقدمة

تزخر كتب التراث الأدبي بالعديد من الموضوعات الشعرية الجمالية التي تحتاج إلى فحص ونظر بوصفها موضوعات مهمة تتابع ورودها في دواوين الشعر، ومظان الأخبار، من غير أن تأخذ حصتها من الدراسة والتحليل.

وكان مما لفت نظر الباحث كثرة الأخبار الروائية، والأبيات الشعرية، التي تصور العلاقة بين الإنسان والحيوان في مجمل مصادر تاريخ الأدب العربي، وهذه الكثرة أثارت الفضول العلمي لمحاولة تحليلها، ومساءلة بواعثها المتنوعة.

إن الشعر حين يقوم بتصوير ذلك؛ فإنه يعبر عن العلاقة المتينة في البيئة العربية بين الإنسان والحيوان في عموم الظروف الحياتية التي يعيشها العربي آنذاك؛ إذ الشعر ديوان العرب الحاوي لكل تفاصيل عيشهم وحياتهم.

ولعل المتأمل لبيئتهم يجد أنها بيئة حيوانية بامتياز، حيث الحيوان له أهميته الكبيرة في عيشهم، فهو وسيلة للركوب والسفر وقطع المفاوز، وموطن للمباهاة والمفاخرة والجمال، وغرض للأكل والإكرام وسد الجوع. هذا إذا تم النظر إليه مستأنسا.

أما إذا تم النظر إليه متوحشا؛ فهو عدو محذور، ومخاتل مخادع، وقاهر غلاب، وهذا ما يدفع إلى القول بأن العلاقة بين العربي والحيوان علاقة جدلية تتخذ أشكالا عدة وذلك حسب موقع الحيوان ونوعه الذي ينتمي إليه؛ وإذ يصور الشعراء تلك العلاقة فإن زوايا نظرهم إليها تتنوع حسب ما تمليه عليهم مواقفهم من ذلك الحيوان الذي تم التعبير عنه.

إن تصوير الناقة بوصفها حيوانا مستأنسا يختلف عن تصوير الغزال ، وتصوير الخيل يختلف عن تصوير الثور ، وما ذلك إلا لأن بنية الصورة الحيوانية للمستأنس تختلف عن بنيتها للمتوحش. وهذا الاتجاه في فهم طبيعة التعبير الشعري عن العلاقة بين الحيوان والإنسان يفضي إلى إدراك مدى تفاعل الشعراء مع حيوان اجتماعي أنيس كالناقة، وحيوان متوحش متفرد مستبد كالذئب .

إنه إذا كانت العلاقة بين الحيوان والإنسان –في العادة- تُبنى على بعد عاطفي واحد في حالة الحيوان الأليف؛ فإنها يمكن أن تبنى على عدد من الأقطاب العاطفية إذا كان الأمر يتعلق بحيوان غير أليف كالذئب، فالأمر في تلك الحالة يخضع للعديد من التبدلات العاطفية التي تتردد بين التعاطف معه، أو العداوة له، أو الوقوف منه موقف الحياد. وهو ما يختلف عن التعبير عن غيره من الحيوانات التي تأخذ نمطا واحدا -في الغالب الأعم-.

وهذا التنوع في العلاقة مع الذئب يثير لدى الفاحص لتراث العرب شيئا من التساؤل ما يجعل رصد الأشعار التي قيلت فيه، ودراسة الأخبار التي نقلت عنه، مفتاحاً لفهم طبيعة التصور الذي يحمله العرب عن الذئب، ومدخلاً لفهم طبيعة حياة العرب التي تتقاطع أو تتسق معه، ومهاداً لفهم الذهنية العربية حين تمارس نوعا من العداء له أو الإسقاط النفسي عليه، خاصة حين ترى أن حياتها تتشابه مع ما تراه من حياة الذئب في أوجه متعددة.

كما يمكن أن يفتح بابا للتساؤل عن مدى التفاعل ما بين نفسية الشاعر والحيوان المتحدّث عنه، بوصف ذلك الحيوان يؤشر على نفسية الشاعر؛ إذ حين يتغزل يورد صورة الغزال والظبي، وحين يمدح يورد الأسد، وحين يهجو يذكر الحمار والقرد... إن تلك الإشارات يمكن أن تحال إلى الحالة النفسية التي تتلبس الشاعر حين القول، وإلى تصور المجتمع عن ذلك الحيوان المذكور.

كل ذلك يمهد السبيل للتعرف على موضوع الذئب في الشعر العربي وأنماط تعامل الشعراء معه، ذلك الموضوع الذي أخذ حيزًا لا بأس به من ديوان الشعر العربي القديم، فذكروه وكرروه في النصوص أكثر من غيره من السباع.

إن ولعهم بتصويره أكثر مما عداه من الحيوانات الأشد ضراوة في الفتك، والأكثر شهرة في القوة -مثل الأسد والفهد وغيرها من مفترسات الجزيرة- قد يكون لأنه عايش العرب في حلِّهم بالقرى الآمنة، وترحالهم بالصحاري الموحشة، فكان من المنطقي أن يوردوه في أشعارهم عبر طرق وأساليب مختلفة حسب مواقفهم منه، وتصوراتهم عنه، كما أن

المخيال العربي العام يرى فيه رمزا للتفرد، والصبر، والافتراس، والكسب، واليقظة، والانتقام. وهو ما جعلهم ينسجون القصص والأشعار التي ترفعه إلى حد التفخيم.

إن الصورة المتخيلة التي نسجها العرب في أشعارهم عن الذئب لم تكن اعتيادية، فقد تخيلوه رمزا للكمال الذهني، والقوة الجسمية، والاعتزاز النفسي، وهذا ما أفضى بهم إلى تصويره في أكمل حالاته حين يكونون محايدين أو معادين، أما حينما يعبرون عن مصاحبتهم له فإنهم يصفونه بئيسا ضعيفا يتكفف الطعام ويُجاد عليه باليسير؛ إيماء إلى جبروت الإنسان على الحيوان، وإسقاطا على الحالة الطبقية التي يعيشها المجتمع بين طبقته العليا المنعمة وطبقته المسحوقة المعدمة. وهذا ما يعزز من أهمية دراسة صورته عندهم لأنهم لم يَقرُّوا فيها على نمط واحد في التعبير، بل تناولوه من زوايا متعددة تصل أحيانا إلى حد التضاد.

وانطلاقًا من هذا الفهم، عمدت إلى اختيار الذئب في الشعر موضوعا للبحث، عسى أن أوفق إلى فحصه وتحليله، وجعلت عنوانه "أنماط العلاقة بين الشعراء والذئب من العصر الجاهلي حتى سنة ٤٥٠هـ دراسة موضوعاتية"، بدءً من امرئ القيس وانتهاء عند أبي العلاء المعري، حيث درست موضوع الذئب في أشعار هذه الحقبة دراسة موضوعاتية تتناول أنماط العلاقة بينه وبين الشعراء التي تنوعت بين علاقات: المصاحبة له، والمحايدة، والمعادية له.

الدراسات السابقة

هناك كتب أدبية، وبحوث علمية، ومقالات صحفية عديدة تناولت هذا الموضوع انطلاقا من اهتمامها برصد صورة الذئب في الأدب عامة والشعر خاصة، وقد ساعدت تلك الدراسات في فتح آفاق مهمة عند تشكيل المادة الأساسية لهذا البحث لكنها –في كل الأحوال- لم تُحط بالصورة الكاملة للذئب، مما جعلها لا تفي بالهدف الذي يسعى إليه هذا البحث؛ وهو البحث عن النصوص التي قيلت في الذئب في الحقبة المستهدفة، وتحليلها وفق المنهج المحدد، وتوزيعها حسب مواقف الشعراء منه.

لقد جاءت أغلب تلك الدراسات أبحاثا داخلية في الكتب التي تتحدث عن الطبيعة أو الحيوان في الشعر العربي، ما عدا كتابين اثنين تحدثا عن الذئب بشكل مستقل، ولعلي أستعرض أهم الدراسات التي تحدثت عن هذا الموضوع:

- كتاب: الذئب في الشعر العربي القديم للدكتور فضل العماري،[١] ويقع في ٣٦٣ صفحة، وهذا الكتاب عبارة عن جمع -فقط- للنصوص التي تتحدث عن الذئب، وقد وجدته متأخرًا، إلا أنني أفدت منه فائدة جليلة لأنه تتبع قصائد الذئب منذ العصر الجاهلي حتى ما بعد العصر العباسي تتبعا مشكورا، وقد كنت جمعت قصائد ومقطعات كثيرة لم يحوها الكتاب.

- كتاب: الذئب في الشعر والتراث العربي[٢] لعايد عمرو ويقع في ٢٠٦ صفحات وهو كتاب تراثي تاريخي أكثر من كونه كتابا أدبيا تحليليا، وقد أورد فيه العديد من المعلومات التاريخية القيمة والقصص والأساطير العربية حول الذئب، واستعرض العديد من الأشعار التي قيلت فيه سواء بشكل عرضي أو مطول؛ وأحصى ١٥٠ شاعرا ذكروا الذئب، غير أنه لم يمل إلى التركيز على القصائد المطولة التي ذكرت الذئب، كما لم يكن معنيا بالتحليل الموضوعي للقصائد، وإن كان قد حاول تفسير مسمى الذئب فنيا وركز على التفسير الرمزي له.

- مبحث: "الذئب" من كتاب: الحيوان في الأدب العربي تأليف شاكر شكر،[٣] وقد تناول المؤلف الذئب في خمس عشرة صفحة، أورد فيها شيئا من أسماء الذئب، وما ورد ذكره في القرآن والأمثال القديمة، وبعضًا من الشعراء الذين تناولوا الذئب عددهم سبعة عشر شاعرا ما بين قصيدة ومقطعة، والجديد فيه ذكره لبعض شعراء الأندلس الذين ذكروا الذئب.

- مبحث "صورة الذئب في الشعر العربي من الجاهلية إلى العصر العباسي" من كتاب دراسات في الأدب العباسي تأليف د- ياسين عايش

---

(١) مطابع جامعة الملك سعود، دراسة رقم ٦٥، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٢) دار فضاءات للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٨م .

(٣) مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٥.

خليل،[٤] وقد تناول المؤلف الموضوع في ثلاثين صفحة، أورد فيها أسماء الذئب، وصفاته، وقصصه، وقدم بعض التحليل لتلك القصص سواء تلك التي تحكي ذم الشعراء للذئب أو تعاطفهم معه.

- مقالة بعنوان: "قراءة عصرية في أدب الذئب عند العرب"، للدكتور عناد غزوان[٥]، وهي مقالة جيدة تقع في عشرين صفحة ضمت تحليلا شعريا لسبعة من شعراء الذئب المشهورين مع تعريف موجز بهم، وهم المرقش الأكبر والشنفرى وحميد بن ثور وكعب بن زهير والفرزدق والبحتري والشريف الرضي.

- كتاب الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور قراءة أنثروبولوجية، سعد بن عبد الله الصويان[٦]، وهو كتاب جيد يقع في (٨١٩) صفحة يتحدث عن ثقافة الصحراء منطلقا من التاريخ الشفهي في الجزيرة العربية خاصة مرويات عرب شمال المملكة وقد تناول موضوع الذئب في العديد من الصفحات (٤٠٥-٦٣٥-٦٣٧...الخ) وتحدث فيها عن المناخ الفكري العام الذي يستبطنه العرب عن الذئب .

أما عدا هذه المراجع فقد أفدت منها بعض اللمحات والتفسيرات، وقد أثبتها في ثبت المصادر والمراجع.

ولا يخفى أن جميع هذه المراجع لم تعالج بشكل مفصل الملح الذي أكدت عليه هذه الدراسة وهو تصنيف مواقف الشعراء من الذئب وأنماط تعاملهم معه مما يعطي البحث أهمية نسبية.

أما طريقتي في العرض فقد قسمت البحث حسب أنماط العلاقة بين الشعراء والذئب ومواقفهم منه وذلك في ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول علاقة المصاحبة .
- المبحث الثاني العلاقة المحايدة.

المبحث الثالث علاقة المعاداة.

ثم سجلت خاتمة ضمنتها أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

---

(٤) دار الفكر، عمّان، ط١، ١٤٣٠هـ .

(٥) مجلة المورد العراقية ص٨٣، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ.

(٦) الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ..

أما المنهج الذي سرت عليه فهو المنهج الموضوعاتي لمضامين النصوص، من أجل توزيع القصائد وفقا للعلاقة بين الشعراء والذئب، واجتهدت في تضمين الدراسة كل قصيدة أو مقطوعة تتحدث عن الموضوع، معرفا بالأعلام، وممهدا للشواهد بتمهيد أدبي، مستنبطا النتائج من خلال ذلك الشرح.

وأخيرا، فإني لا أملك إلا أن أتوجه بالشكر لله –تعالى- على أن أعانني على إتمام هذا البحث الذي أرجو أن يكون فيه النافع المفيد للعربية وأبنائها.

التمهيد

يعد الذئب من الحيوانات التي سجَّلت حضورًا معقولاً في موروث العرب الفكري والأدبي، وهو من الحيوانات القلائل التي ظل العربي في شعره ((يناجيها ويخاطبها مباشرة وبقدر من الندية..إلى جانب الناقة والفرس)) (٧)، وقد اتخذ حضوره في موروثهم عدة أبعاد تصل -أحيانا- إلى حد التقابل والتضاد.

ذلك أن العلاقة بين الذئب والعربي يلفها التباس وتنوع، فهو في مواضع عدو محذور، وفي مواضع صاحب مرافق، وفي أخرى حيوان يتم التعامل معه تعاملا محايدا بحيث يوصف كما توصف الشجرة والغزال والجبل والوادي.

إن تنوع المواقف تجاهه يمكن أن تؤخذ من تنوع تصوراتهم التي تشكلت وفق مخيال عام ساهم في بنائه عدد من مصادر التلقي المقروءة والمسموعة التي رسمت له صورة تتعالى –في كثير من الأحيان- على الصورة الواقعية التي يحياها الذئب. ومن الممكن أن أستعرض شيئا مما يتصوره العرب عن الذئب في مخيالهم الجمعي بغض النظر عن صحته وخطئه.

---

(٧) بتصرف يسير من كتاب: الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور قراءة أنثروبولوجية، سعد بن عبد الله الصويان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ص ٦٣٥.

إذا بدأنا بحديث القرآن الكريم عن الذئب وجدنا أنه يتحدث عنه في ثلاثة
مواضع[٨] كلها تومئ إلى أنه عدو، يجب أن يأخذ الإنسان منه جانب الحيطة والحذر، حتى لا يأخذه على حين غرة.

وكل تلك المواضع في القرآن الكريم وردت في سورة واحدة هي سورة يوسف، ومن المعلوم أن من أهم أفكار هذه السورة فكرة تصوير العداء والخيانة من قبل الإنسان والحيوان، قال تعالى في أحد تلك المواضع، في سياق حديث يعقوب –عليه السلام- مع أبنائه إخوة يوسف: چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي □ □ □ □ چ [يوسف: ١٣-١٤].

يقول الطبري في تأويل هذه الآية الكريمة ((وقيل: إنما قال ذلك لخوفه منهم عليه، وأنه أرادهم بالذئب؛ فخوفه إنما كان من قتلهم له، فكنى عنهم بالذئب مساترة لهم؛ قال ابن عباس: فسماهم ذئابًا. وقيل: ما خافهم عليه، ولو خافهم لما أرسله معهم، وإنما خاف الذئب؛ لأنه أغلب ما يخاف في الصحاري)) [٩]، ومهما أخذنا بأحد التأويلين فإنهما يتجهان إلى تقرير خيانة الذئب ، سواء بصورته الحقيقية الحيوانية، أو الرمزية الإنسانية.

أما الحديث النبوي الشريف ، فقد ورد الذئب فيه بوصفه دالا على الافتراس والعداوة، وهو ما نجده في عدد من الأحاديث، ومنها حديث الحث على الجماعة الذي يحض على الالتحاق بها، وعدم مفارقتها، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ**)) [١٠]، كما يرد ذكره في سياق الأحداث التي تدل على نبوة الرسول -صلى الله عليه سلم-، أي المعجزات النبوية، وذلك كحديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- الذي حدَّث عن النبي -صلى الله عليه

(٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٢٦٩ ، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة،١٤٠٨.

(٩) جامع البيان في تفسير القرآن ٩٥/٧، محمد بن جرير الطبري، دار الباز، مكة المكرمة، ط٣، ١٣٩٨.

(١٠) رواه أبو داود، عون المعبود شرح سنن أبي داود، شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ . ١٧٦/١.

وسلم- أنه قال: ((بَيْنَا أَعْرَابِيٌّ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ فِي غَنَمٍ لَهُ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ، فَأَخَذَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، فَأَدْرَكَهُ الأَعْرَابِيُّ، فَاسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ وَهَجْهَجَهُ، فَعَانَدَهُ الذِّئْبُ يَمْشِي، ثُمَّ أَقْعَى مُسْتَذْفِرًا بِذَنَبِهِ يُخَاطِبُهُ، فَقَالَ: أَخَذْتَ رِزْقًا رَزَقَنِيهِ اللَّهُ، قَالَ: وَاعَجَبًا مِنْ ذِئْبٍ مُقْعٍ مُسْتَذْفِرٍ بِذَنَبِهِ يُخَاطِبُنِي، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَتْرُكُ أَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: وَمَا أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّخْلَتَيْنِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُحَدِّثُ النَّاسَ عَنْ نَبَإِ مَا قَدْ سَبَقَ، وَمَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ، قَالَ: فَنَعَقَ الأَعْرَابِيُّ بِغَنَمِهِ حَتَّى أَلْجَأَهَا إِلَى بَعْضِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَيْنَ الأَعْرَابِيُّ صَاحِبُ الْغَنَمِ؟ فَقَامَ الأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَدِّثِ النَّاسَ بِمَا سَمِعْتَ وَمَا رَأَيْتَ، فَحَدَّثَ الأَعْرَابِيُّ النَّاسَ بِمَا رَأَى مِنَ الذِّئْبِ وَسَمِعَ مِنْهُ...))[١١] .

وفي هذا مفارقة معجزة سيكون لها صدى مؤثر في بقية الأعراب يدفعهم للإذعان للدين، إذ إن الذئب الذي هو رمز الفتك والنفرة مال إلى الاستئناس بعد البعثة والهجرة وفي هذا إيحاء بتغير طبائع الأشياء إعجازا وتأييدا لدعوة الإسلام على يد محمد -صلى الله عليه وسلم- .

أما موروث العرب فمليء بالأخبار والأساطير عن هذا الحيوان[١٢]، منها ما يدخل في إطار المعقول ومنها ما يخرج عنه. ويمكن أن أعطي إشارات سريعة توحي باهتمامهم بشأنه بغض النظر عن صحة أو صواب تلك الإشارات والتصورات؛ لأن القصد من ذلك عرض صورة الذئب في المخيال الجمعي للعرب، دون البحث عن الثقة في حقيقتها، وسيكون هذا من خلال استعراض بعض تسمياتهم له، وبعض أمثلتهم وقصصهم عنه:

المؤشر الأول على اهتمامهم بالذئب إطلاقهم العديد من الأسماء والصفات عليه

---

(١١) رواه الإمام أحمد، برقم (١٣٥٧٧١) .

(١٢) ينظر كتاب: الذئب في الشعر والتراث العربي، عايد عمرو، دار فضاءات للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٨م صفحة ٣٠ وما بعدها.

ومعلوم أن كثرة الأسماء للشيء تدل على العناية به، أو الالتفات إليه. يقول الأصمعي[١٣] عن أسماء الذئب: ((يقال له ذئب وسِلق وذؤالة وذألان وأوس وأويس وسِيد، ويقال للأنثى ذئبة وسلقة، ويقال له أطلس وطلساء،.. وسمسام (الخفيف اللطيف)، وأغبس)) [١٤]، وذكر الدميري (تعريف به) عددًا من أسمائه، منها ((الخاطف والسرحان والملس وكنيته أبو مذقة أبو جعدة وأبو ثمامة وأبو جاعد وأبو رعلة وأبو سلعامة..)) [١٥]، واستقصى له صاحب كتاب (الحيوان في الأدب العربي) [١٦]، وكتاب (الصيد والطرد في الشعر العربي) [١٧] العديد من الأسماء والصفات، وكل هذه الأسماء والصفات تدل على الاهتمام به، وتنوع وظائفه على مسرح حياة عند العرب.

المؤشر الثاني اتخاذهم إياه موضوعا للعديد من الأمثال والحكم

وذلك مثل قولهم: ((أبرُّ من الذئبة)) [١٨]، وذلك أنها إذا ولدت لزمت أولادها، ولم تبعد عن صغارها مقدارا تغيب فيه عن عينها حتى تكمل تربيتها. وعكسه قولهم ((أحمَقُ مِنْ جَهِيزَة)) [١٩]، وجهيزة: أنثى الذئب. ومن حمقها أنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع. وقالوا ((أجْوع

---

(١٣) عبد الملك بن قريب الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر، مولده ووفاته بالبصرة، كثير التطواف بالبوادي لأخذ اللغة، توفي عام ٢١٦هـ (الأعلام ١٦٢/٤ خير الدين الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٩٢).

(١٤) كتاب الوحوش ص٦٩، عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق د- جليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩.

(١٥) حياة الحيوان الكبرى ٤٥٨، محمد بن موسى الدميري، دار الألباب، بيروت. بلا تاريخ.

(١٦) الحيوان في الأدب العربي ١٢٣، شاكر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٥.

(١٧) الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ص١٥٦، د-عباس مصطفى الصالحي، مطبعة دار السلام، بغداد، ط١، ١٩٧٤. وينظر كتاب: دراسات في الأدب العباسي ٢٤٠ .

(١٨) جمهرة الأمثال ٢٤٣/١، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨٤.

(١٩) مجمع الأمثال ٣٨٨/١، أحمد الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط٢. ١٤٠٧

مِنْ ذِئْب)) [٢٠]، وذلك أنه لا يأكل إلا ما يصيد، ولايرجع إلى فريسته. وقالوا ((أحْذر مِنْ ذِئْب)) [٢١]، يقال إنه من شدة حذره أن يراوح بين عينيه إذا نام، فيجعل إحداهما مطبقة نائمة، والأخرى مفتوحة حارسة.

وقالت العرب أيضا ((أعَقّ مِنْ ذئبة)) [٢٢]، لأنها تكون مع الذئب يتعرضان للإنسان فإذا أدمي واحد منها وثبت الأخرى عليه، وتركت الإنسان لما فيها من شهوة الدم. وقالوا ((أكْسب من ذِئْب)) [٢٣]، لأنه الدهر يطلب صيدا ولا ينام. وقالوا ((سقط العشاء به على سرحان)) [٢٤]، يضرب مثلا للحاجة تؤدي صاحبها إلى التلف. وقالوا ((من استرعى الذئب ظلم)) [٢٥]، يضرب مثلا لمن يضع الأمانة في غير موضعها، والظلم وضع الشيء في غير موضعه.

وهناك أمثلة شعرية ونثرية كثيرة تشير إلى أكثر من تلك المعاني السابقة، نجد أنها تمثل آراء العرب عن هذا الحيوان، وهي في صيغتها – حينا- تكون متفقة مثل اتفاقهم على غدره، وحينا تكون متناقضة مثل تناقضهم في بر الذئبة بأبنائها، وهي مرة تكون سلبية مثل ذكرهم لظلمه، ومرة تكون إيجابية مثل إعجابهم بكسبه، وكلها تشير إلى مدى حضور الذئب في حياتهم.

المؤشر الثالث كثرة قصصهم عنه

وتصوراتهم القصصية عنه تتجه اتجاهين:

الأول: قصص تدل على عظيم صبره، وقوة احتماله، وذلك كقول الدميري: ((وللأسد والذئب في الصبر على الجوع ما ليس لغيرهما من الحيوان لكن الأسد شديد النهم، حريص رغيب شره، وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياما لا يأكل شيئا، والذئب وإن كان أقفر منزلا وأقل خصبا

---

(٢٠) جمهرة الأمثال ٣٣٢/١.

(٢١) السابق ٢٢٧/١.

(٢٢) السابق ٦٩/٢.

(٢٣) السابق ١٧٥/٢.

(٢٤) السابق ٥١٤/١.

(٢٥) السابق ٢٦٥/٢.

وأكثر كدا إذا لم يجد شيئا اكتفى بالنسيم فيقتات به))[٢٦]، فهذه صورة أسطورية تجعل العرب يعجبون بهذا الذي يطوي على الجوع، ويعيش بالكد، ويقتات على النسيم. ويقول أيضا: ((وهو أكثر الحيوان عواء إذا كان مرسلا، فإذا أخذ وضرب بالعصي والسيوف حتى يتقطع أو يهشم لم يسمع له صوت إلى أن يموت)) [٢٧]، وهذه صورة تكرس مفهوم القوة، وتجعل العرب يُعجبون بهذا القوي الصبور.

والثاني: قصص تدل على غدره، وفتكه، وخيانته، وهي قصص كثيرة يمكن أن أشير إليها بقصة أوردها الدميري في حياة الحيوان إذ يقول: ((روى البيهقي عن الأصمعي قال، دخلت البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة، وجرو ذئب مقع، فنظرت إليها فقالت أتدري ما هذا؟ قلت لا، قالت جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا، فلما كبر قتل شاتنا، وقد قلت في ذلك شعرًا، قلت لها ما هو؟ فأنشدته:

بقــرت شــويهتي وفجعــت قلــبي وأنــت لشــاتنا ولــدٌ ربيــبُ

غــذيت بــدرّها وربيــت فينــا فمــن أنبــاك أنّ أباك ذيــب

إذا كــان الطبــاع طبــاع ســوءٍ فــلا أدبٌ يفيــد ولا أديــب))[٢٨]

وهذه قصة تكرس مفهوم الغدر، وأن الذئب مهما تفضل عليه الإنسان فإنه عائد عليه بطبعه السيئ الغدار.

ومما يدخل في هذا الاتجاه أنهم جعلوا رؤية الذئب في المنام تدل على ((الكذب والحيلة والعداوة للأهل والمكر بهم، وقيل الذئب في الرؤيا لص غشوم ظلوم..)) [٢٩]، حتى كتاب لسان العرب ساهم في توضيح هذا المفهوم السلبي تجاهه حين عرض لمادة "ذأب" فكان مما قاله: ((وذُؤْبانُ العرب: لُصُوصُهم وصَعالِيكُهُمُ الذين يَتَلَصَّصون ويَتَصَعْلَكُونَ. وذِئابُ الغَضَى: بنو كعب بن مالك بن حَنْظَلَةَ، سُمُّوا بذلك لخُبْثِهم؛ لأَن ذِئْبَ

(٢٦) حياة الحيوان الكبرى ١/٤٦٠.

(٢٧) السابق ١/٤٦٠.

(٢٨) السابق ١/٤٦١.

(٢٩) السابق ١/٤٦٥.

الغَضَى أَخْبَثُ الذِّئَابِ. وذَؤُبَ الرجلُ يَذْؤُبُ ذَآبَةً، وذَئِبَ وتَذَأَّبَ: خَبُثَ وصَارَ كالذِّئْبِ خُبْثًا ودَهاءً))[٣٠]، إنه يتحدث على أن الذئب معادل للخبث والدهاء والمكيدة. ولذا فهم يذمونه لأنه عدو غدار مخاتل يعدو على الأبرياء من غنم وإنس.

كل هذه الآيات، والأحاديث، والأمثال، والقصص، تشير إشارات واضحة على أن الأصل في العلاقة بين الإنسان والذئب هي علاقة المعاداة .

ومع هذه العلاقة الأصلية العدائية الواضحة؛ إلا أن العرب يؤمنون ببعض الأفكار الإيجابية عنه، منها: تفاؤلهم به لأنه كسوب، ولذا قالوا ((أكسب من ذئب)) [٣١] ، وإعجابهم بقوته وتبدّيه، خاصة الصعاليك والأعراب منهم، وارتياحهم إلى طريقته في أخذ الحق بالقوة ((وكسب لقمة العيش بالإغارة والسلب والنهب وسرعة العدو)) [٣٢] ، إنهم يمدحونه لأنه معادل للقوة والتفرد وهي الصفات التي يبحثون عنها في تحقيق ذواتهم أساسا. [٣٣]

إن هذه العلاقة الملتبسة ما بين الحذر الباعث على القتل، والإعجاب الباعث على المدح، قد انعكست على الشعر في عدد لا بأس به من القصائد والأبيات في ديوان العرب، وكأنهم عدّوا الذئب مادة ممتازة تساعدهم على التصوير من زوايا متعددة، وتفسح المجال لخيال الشاعر للابتكار والإبداع من أي زاوية يختارها للتصوير. وهذا ما سنلحظه حين يسير بنا البحث –إن شاء الله- إلى شوطه الأخير.

---

(٣٠) لسان العرب مادة "ذأب"، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

(٣١) حياة الحيوان الكبرى ٤٦٤/١.

(٣٢) الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور ص ٦٣٨.

(٣٣) حياة الذئب أشبه ما تكون بحياة البدو من حيث الترحال والانتجاع والغزو والمعاناة في تقلبات الأحوال، ينظر كتاب: الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور ص٤٠٥ و ٦٣٥ و ٦٣٧. وكتاب: دراسات في الأدب العباسي ٢٣٨ .

المبحث الأول: علاقة المصاحبة

تقوم علاقة المصاحبة التي صورها الشعراء بين الذئب والإنسان على منطق غير طبيعي، لأن الأصل في العلاقة هي المعاداة، لكنهم أقاموا هذا النوع من أجل أهداف أخرى ذكروها في أشعارهم، وعند تأمل تلك الأشعار نجد أنهم حين يصحبون الذئب لا يصحبونه لذات المصاحبة؛ وإنما للكشف عن معان:

١-إظهار الشجاعة في مصاحبته؛ إذ صاحبوا مَنْ شأنه الفتك والغدر.

٢-إبراز الكرم في إطعامه؛ إذ أكرموه خلافا لعرف الناس الذي يحث على قتله.

٣-تبيان الوحشة من صحبة الناس.

ويجدر أن أسجل في هذا السياق ملحوظتين:

- أن معظم الشعراء الذين ذكروا صحبتهم إياه أشاروا إلى أن أهم مظهر من مظاهر مصاحبته هو إكرامه.

- كذلك؛ أن الشعراء كانوا على وعي دلالي حين استخدموا –في علاقتهم مع الذئب- لفظة المصاحبة وليس المصادقة، لأن المصاحبة تعني المرور العابر غير المستمر -وهو ما كانوا يفعلونه مع الذئب-، وهي توحي بعدم بناء علاقة متينة بينهما، ولذلك كثيرًا ما نرى الشعراء يلمحون إلى أن الذئب ربما نكص إلى عادته فغدر بهم، أي إنهم تعاملوا معه شعريا وفق الوعي التاريخي الحقيقي.

ويمكن أن نقف على شواهد ذلك من خلال إحدى عشرة لوحة شعرية تشير إلى المصاحبة والتصالح.

١- في لوحة قصصية حوارية يسافر الشاعر امرؤ القيس(٣٤) في عمق الصحراء(٣٥) إلى مكان قليل الأصوات، محل الأرض، فيلقى الذئب

---

(٣٤) امرؤ القيس بن حجر الكندي، أشهر الشعراء العرب، يماني الأصل، عاش متنقلا بين أحياء العرب، مات بأنقرة، نحو عام ٨٠ ق هـ (الأعلام ١١/٢).

(٣٥) الشعراء يفتخرون في ورود مثل هذا النوع من المياه إلماحا إلى شجاعتهم في الوصول إلى أبعد نقطة عن وصول البشر.

((يعوي حول الحوض من شدة العطش)) (٣٦)، فيلجأ الشاعر إلى حيلة جميلة، حيث ((تصوَّر نطقه فوضع كلاما على لسان الذئب)) (٣٧)، ليكون رجع الكلام متبادلا، وفي تلك الحوارية المتخيلة عرض عليه المصاحبة؛ بل المؤاخاة، وهذا عرض غريب يستنكره الذئب؛ لأنه لا يتفق مع سياق العداوة التاريخية بينه والإنسان، لكن الذئب يطلب ما هو أقل من ذلك بكثير؛ يطلب منه –بأدب جم وخلق رفيع- شربة ماء يبل بها صداه، فيدله الشاعر على بقية الماء في الدلو، فيفرح الذئب بذلك، ويرفع عقيرته مناديا بقية الزملاء ليرتووا، وتنتهي الملاقاة بهذه الخدمة المقدمة من الشاعر، وذلك القبول الحذر من الذئب، في صورة حوارية تنتفي فيها اللغة المعقولة: (٣٨)

ومَاءٍ كَلَوْنِ البَوْلِ قَدْ عَادَ آجنًا قَلِيلٌ بهِ الأَصْوَاتُ في كلأ مَحلِ

لَقِيتُ عَلَيْهِ الذِّئبَ يَعوي كَأَنَّه خَلِيعٌ خَلاَ مِنْ كُلِّ مَالٍ ومِنْ أَهْلِ

فَقُلْتُ لَهُ يَا ذِيبُ هَلْ لَكَ في أَخٍ يواسي بِلاَ أثْرى عليك وَلاَ بُخْلِ

فَقَالَ: هَدَاكَ اللهُ إنَّكَ إنَّمَا دَعَوْتَ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبُعٌ قَبْلِي

فَلَسْتُ بآتِيهِ وَلاَ أَسْتطيعُهُ ولاكِ اسقِنِي إنْ كَانَ مَاؤك ذا فَضْلِ

---

(٣٦) دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبني أمية، د-عبده بدوي، دار قباء، القاهرة، بلا تاريخ ص٧٧.

(٣٧) مجلة الفيصل، عدد ١٠٤، ص١٢٤، مقالة "الذئب في ضيافة الشعراء"، لمنصور مهران.

(٣٨) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥، ص٣٦٣، وهناك من ينسب الأبيات للشاعر قيس بن عمرو بن مالك بن الحارث الملقب بالنجاشي، ينظر –على سبيل المثال- خزانة الأدب للبغدادي شرح الشاهد (٨٧٥)، وكتاب دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبني أمية، ص٤٤. وقول الشاعر: كلون البول: في صفرته وتغيره. الآجن: متغير الطعم، ليس يشربه أحد. يعوي: يصوت من الجوع، والعواء: صوت ضعيف ليس بالرفيع. الخليع: الذي قد قصر ماله، فتحير وتردد من القلق، سمي خليعًا لأنه قد خلع من ماله فانسلخ منه. أخ: يعني نفسه. يواسي: أي يعيطك فضل زاده. أثرى: أي أعطاني، وأصله من الإيثار. الصفو: بقية الماء. السجل: الدلو العظيمة. طرب: عوى. استعدى: دعا ذئابًا كثيرة. عديت: كففت حتى عدلوا.

فَقُلْتُ عَلَيْكَ الحوْض إني تَرَكْتُهُ وفي صفوه فضل القلوص من السجلِ
فطربَ يستعوي ذِئابًا كَثيرةً وعديت كل من هواه عَلَى شغلِ

٢- وفي صورة أخرى من صور المصاحبة –التي تنحو نحو الرأفة والشفقة- يقص علينا الصعلوك الشهير تأبط شرًا[٣٩] لقاءه مع الذئب في (الزيزاة)، حيث وجد الذئب يرفع عقيرته بالعواء ((من فرط الجوع)) [٤٠]، فحاول أن يعقد مقارنة بين حالة الصعلوك المتشرد في الصحراء الذي أقفلت في وجهه الأبواب، ونبحته كلاب الحي، وحالة الذئب الذي أوصدت في وجهه السبل ونبحته –أيضا- كلاب الحي؛ فتشابهت إذ ذاك الغربتان[٤١]، وباتا طول عمرهما طاويين. وإذ يتذكر الشاعر هذا التماثل في الإملاق والطرد، يجود على الذئب بما يملك، تمهيدا للمصاحبة، ودلالة على التعاطف. لقد منحه نعلا من جلد، فولى الذئب فرحًا به كأنما حاز غُنْمًا ثمينا: [٤٢]

وَوَادٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفْرٍ قطعتُهُ بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كالْخَلِيعِ الْمُعَيِّلِ
تَعَدَّى بِزَيْزَاةٍ تَعِجُّ مِنَ العُوَا وَمَنْ يَكُ يَبغِي طُرَقَةَ اللَّيلِ يُرْمِلِ
فَقُلْتُ لَهُ لمّا عَوَى: إنَّ ثَابِتًا قَلِيلُ الغِنَى إنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ

---

(٣٩) ثابت بن جابر الفهمي، شاعر عداء، من فتاك العرب في الجاهلية، كان من أهل تهامة، توفي نحو ٨٠ ق هـ. (الأعلام ٢/٩٧).

(٤٠) الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي ٢٧٩، د- بهيج القنطار، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٤١) انظر حول تشابه الغربتين كتاب: الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ١٦٨، د- أنور عليان أبو سويلم، دار العلوم، بالرياض، ط١، ١٤٠٣هـ. وكتاب: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص٧٩، د- حازم عبد الله خضر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٧.

(٤٢) الديوان ص ١٨٢، تحقيق على ذو الفقار شاكر، مطبعة المتوسط، بيروت، ط١، ١٤٠٤، ومنهم من ينسب هذه الأبيات لامرئ القيس في المعلقة، وقوله: الخليع: المقامر. المعيل: كثير العيال. الزيزاة: ما غلظ من الأرض، الأكمة الصغيرة. تعج: تصوت. القوا: الخلا القفر. طوى: انصرف. السبت: الجلد المدبوغ. الطلة: الشربة من اللبن أو الخمر. خلاف ندى: بعد نزول الندى في آخر الليل. مخضلي: من الخضل، وهو البلل الخفيف. بها: بالنعل.

كِلاَنَا طَوَى كشْحًا عَنِ الحَيِّ بَعْدَمَا دَخَلْنَا عَلَى كِلاهِمِ كُلَّ مَدْخَلِ
طَرَحْتُ لَهُ نَعْلاً مِنَ السَّبْتِ طَلَّةً خِلاَفَ نَدًى مِن آخِرِ اللَّيْلِ مُخْضِلِ
فَوَلَّى بِهَا جَذْلانَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ كَصَاحِبِ غُنْمٍ ظَافِرٍ بِالتَّمَوُّلِ

٣- والمرقش الأكبر(٤٣)يزوره أطلس بائس مهتديا بضوء ((النار المضرمة في الفلاة)) (٤٤)التي أشعلها لكي تكون علامة منقذة ((للذئب من ضلاله وجوعه))(٤٥)، فلم يتعامل معه بالزجر، ولم يغلظ له بالرد، بل استحيا منه إن هو رده بغير طعام ((لئلا يوصف عند جلسائه بالبخل والشره)) (٤٦)، ولذا استضافه ((في مشهد حميم، ولقاء غير متوقع)) (٤٧)، فنبذ إليه قطعة من الشواء تكرمًا وتلطفًا، إيماءً للكرم، وتلويحًا بالمصاحبة، فرجع بها الذئب رجوع ذئبِ تأبط شرًّا ينفض رأسه جذلاً، كما يعود بالنهب الغازي الشجاع: (٤٨)

(٤٣) عوف بن سعد البكري، من الجاهليين المتيمين الشجعان، كان يحسن الكتابة، توفي نحو ٥٧ ق هـ. (الأعلام ٥/٩٥).

(٤٤) الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي ٢٧٧.

(٤٥) جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا د- يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط الأولى ، ٢٠٠٤م ص ١٤١ .

(٤٦) مجملة الفيصل، عدد ١٠٤، ص١٢٣.

(٤٧) مجلة المورد العراقية ص ٨٣، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ، مقالة بعنوان: "قراءة عصرية في أدب الذئب عند العرب"، للدكتور عناد غزوان.

(٤٨) المفضليات، للمفضل الضبي ص٢٢٦، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف ط٥، وقد وقفت على أبيات تشبه أبيات المرقش لشاعر مغمور اسمه عمر بن الصعق في كتاب الذئب في الشعر العربي القديم ص٥٥ يقول فيها:

ونَارٍ بِمَوْمَاةٍ قَليل أنيسُها ... أتاني عَلَيهَا أطْلَسُ اللَّوْنِ بَائِسُ
نَبَذْتُ إليهِ حِزَّةً مِنْ شِوَائِنَا ... فَآبَ وَمَا يَخشى عَلَى مَنْ يُجَالِسُ
فَوَلَّى بِهَا جذْلاَنَ يَنْفضُ رَأسَهُ ... كَمَا آب بِالنَّهْبِ المغَيرُ المحَالِسُ

ولَمَّا أَضَأَنا اللَّيْلَ عند شِوائِنا عَرَانا عليها أَطْلَسُ اللَّوْنِ بائِسُ
نَبَذْتُ إليه حُزَّةً من شِوائِنا حَيَاءً وما فُحْشِي على مَنْ أُجالِسُ
فَآضَ بها جَذْلانَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ كما آبَ بالنَّهْبِ الكَمِيُّ المُحَالِسُ

لقد كانت علاقة الشعراء الجاهليين مع الذئب تميل نحو المصاحبة في مجمل النماذج المختارة؛ إيمانا منهم بأن مصاحبة الذئب هي دالة شجاعة، وعنوان كرم، ما جعلهم يترفعون في أشعارهم عن معاداته ومنابذته .

وحين نغادر الجاهليين نحو الأمويين، فإننا نجد بعضا من النماذج التي تسير في السياق نفسه، أي سياق الإكرام وتبيان الشجاعة.

٤- فحين لقي الكميت الأسدي(٤٩) ذئبا ضريرا في عمق الصحراء، فإن معاني العداوة –في نفسه- قد همدت، ومعاني الرحمة قد انتعشت، فداخله شعور رحيم يوحي له بأن الذئب يكاد يفصح عن شكوى مُرَّةٍ تُعلمه بما ألَمَّ به من ألم الجوع، وحرقة العطش، فلم يكن من الكميت -وهو يخضع لهذا الشعور الودي الرقيق- إلا أن أطعمه من الزاد، وسقاه من الشراب، مستشعرًا أن إكرامه له يكف عنه الذم: (٥٠)

لقينا بها ثِلبًا ضريرًا كأنَّه إلى كلِّ من لاقى من النَّاسِ مذنبُ
مضيعًا إذا أثرى كَسوبًا إذا عدا لساعتهِ ما يستفيدُ ويكسبُ
تضوّر يشكو ما به من خَصاصةٍ وكاد من الإفصاحِ بالشكوِ يعربُ
فنَشنا له من ذي المزادِ حصّةً وللزاد أسآر تلّقي وتوهبُ
وقلنا له هل ذاك فاستغن بالقرى ومن ذِي الأداوي عندنا لك مشربُ

---

(٤٩) الكميت بن زيد الأسدي، شاعر الهاشميين، اشتهر في العصر الأموي، كان عالما بآداب العرب وأخبارهم، أشهر شعره الهاشميات، توفي عام ٦٠هـ. (الأعلام ٢٣٣/٥).

(٥٠) شعر الكميت بن زيد ٨٦/١، جمع: داود سلوم، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٩. وقوله: أسآر: بقايا. شول: القليل من الماء. الحيبة: الأثم. المتحوب: الآثم.

وصُبَّ له شَوْلٌ مِن الماءِ غائرٌ به كَفَّ عَنْهُ الحِيبَةَ المُتَحَوِّبُ

٥- أما الشاعر أسماء الفزاري[٥١] فإن تعاطفه مع الذئب يأخذ بعدًا آخر، لقد وصف ذئبا شاقيًا ((جائعا متشردا في الصحراء)) [٥٢] يبحث طول عمره عما يسد به جوعته لكنه مع ذلك يضيع ما جمع من شبَّ إلى دبَّ، ((وهذه الصورة للذئب تثير انفعال الشاعر وتصنع حكايته مع الذئب في حوارية ممتعة)) [٥٣] : [٥٤]

ولقَدْ ألمَّ بنا لنَقْرِيَهُ بادِي الشَّقَاءِ مُحارَفُ الكَسْبِ

يدعُو الفنَا إنْ نالَ عُلْقتَه مِنْ مطْعمٍ غِبًّا إلي غِبِّ

فطَوى ثَمِيلتَهُ فألحَقَها بالصُّلبِ بعدَ لُدُونةِ الصُّلْبِ

يا ضَلَّ سَعْيُك ما صَنَعْتَ بِمَا جَمَّعْتَ من شبٍّ إلى دبِّ

ولما رأى أسماء أن هذا الذئب الجائع الهزيل قد زاد في الإلحاح طلبا للطعام، وعاود الشكوى والتكلح، وبالغ في الاقتراب والتضور،

---

(٥١) أسماء الفزاري: ٣٠ ق. هـ - ٦٠ هـ / ٥٩٣ - ٦٧٩ م، أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو،شاعر جاهلي كان شريفا جوادا كريما لبيبا، وكان شابا يوم صحراء فلج في الجاهلية. وكانت بنته هند زوجا للحجاج، وكان ابنه مالك بن أسماء من ولاة الحجاج وعماله. وله شعر رائع جيد وقال: ماشتمت أحدا قط. وكان الشعراء يمدحونه. ينظر كتاب: الأصمعيات لعبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٧م ص ٤٨ .

(٥٢) جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا ١٦١.

(٥٣) السابق ١٦١.

(٥٤) الأصمعيات ص ٤٨ وينظر: كتاب رسالة الصاهل والشاحج ١٢٦، أبو العلاء المعري، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥. وقوله: رجل محارف، بفتح الراء، أي محدود محروم، وهو خلاف: مبارك. الثملية هنا: بقية الطعام في الجوف. يقال: من شب إلى دب. والمعنى: من لدن شب إلى أن دب على العصا. الضريك، كأمير: الضرير والفقير والبائس السيئ الحال. التكلح: التكشير في عبوس. كلح، كمنع، كلوحًا وكلاحًا، بضمهما، تكشر وعبوس، كتكلح. العذم: العض، عذم يعذم: عض، والاسم العذيمة، جمع عذائم، كما يقال: عذم عن نفسه: دفع. احتاذ: أسرع، والحوذ: السوق السريع، والظهر والحاذي: ما استقبلك من فخذي الدابة إذا استدبرتها. وقيل: أسفل الفخذ.

((أخذ من نفس أسماء مأخذا عظيما)) (٥٥)، فاتقدت في صدره عاطفة الرحمة، وحمية الإكرام:

وألحَّ إلحاحًا بِحاجَتِهِ شكوَى الضَّريكِ ومَزْجَرَ الكَلبِ

ولوى التكَلُّح يشتَكي سَغَبًا وأنا ابنُ قاتلِ شِدَّةِ السَّغْبِ

وعندها رأى أن من حق الذئب عليه أن يُقرى، خاصة وأنه جاء رافعا راية السلم، نابذًا عادة الحرب، وهنا بدأ الشاعر في التفكير جديًا في توفير طعام غير عادي لضيفه غير العادي. إنه إذا كان الشعراء السابقون قد جادوا على ذئابهم بحزة من لحم طريف، أو قطعة من نعل سبتي قديم، أو مزودة صغيرة، أو بعض مسلوخة، فإن شاعرنا هذا يجود على ذئبه بشيء أكبر من ذلك بكثير.

لقد انثنى الشاعر يبحث في نياقه، فاختار أسمنها ثم أرسل في ساقها السيف، وتركها تتخبط وجبة دسمة للذئب المسالم وعياله، ثم واصل مسيرته في السفر، غير أسف ولا حسير على ناقته الكوماء، لكنه لم ينس حين غادر مكانه أن يأخذ رحل الناقة القتيلة؛ لأن الضيف–الذئب- لن يستفيد منه قطعا:

فرأيتُ أنْ قد نلتُهُ بأذَى مِنْ عُدمِ مَثلبَةٍ ومن سَبِّ

ورأيتُ حقًّا أنْ أضيِّفَهُ إذْ رامَ سِلْمِي واتَّقى حَرْبِي

فرمقتُ مُعتامًا أُزاوِلُها بمُهندٍ ذي رَونقٍ عَضْبِ

فعرضتُهُ في ساقِ أسمَنِها فاحْتَاذَ بَيْنَ الحَاذِ والكَعْبِ

فتَرَكتُهَا لعيالِهِ جزرًا عمدًا وعلَّقَ رحلَهَا صَحْبِي

٦- ومن أمثلة الشعر الأموي: قصيدة الفرزدق السينية التي يتغنى فيها بالشجاعة والكرم، ففي لوحة من لوحات المهادنة والمصاحبة بين

(٥٥) مجلة الفيصل، عدد ١٠٤، ص١٢٤.

الذئب والإنسان، يجلو الشاعر الأموي الفرزدق(٥٦) تفاصيل لقائه الودي مع الذئب؛ مبينا عن مدى جرأته، ومهادنته للذئب، حتى إنه لفرط حميمية ذلك اللقاء قارب أن يكسوه بعد أن أطعمه؛ ليحوز بذلك طرفي المجد شجاعة وكرما.

إن هذا يأتي في نسق الصورة الشعرية التي رسمها الفرزدق، فهو في بدايتها أومأ إلى أن الذئب ضافهم، ولم يقل هاجمهم، مما يعني أن الشاعر يمهد هنا لإظهار إكرامه ومصاحبته، وفي نهايتها ألمح إلى أنه فعل كل تلك الأفعال في حين كان زملاؤه في الرحلة يغطون في نوم عميق ((والركايب نعَّس))، فهو يفتخر بالشجاعة والسهر ((والمبالغة في كرم الضيافة)) (٥٧)، يقول الفرزدق: (٥٨)

وَلَيْلَةَ بِتْنَا بِالغَرِيَّيْنِ ضَافَنَا ... على الزَّادِ مَمْشُوقُ الذِّرَاعَيْنِ أطلسُ

تَلَمّسَنَا حَتى أتَانَا، وَلَمْ يَزَلْ ... لَدُنْ فَطَمَتْهُ أُمُّهُ يَتَلَمّسُ

ولَوْ أنّهُ إذْ جَاءَنا كانَ دانِيًا ... لأَلْبَسْتُهُ لَوْ أنّهُ كانَ يَلْبَسُ

وَلَكِنْ تَنَحّى جَنْبَةً، بَعدَما دنا ... فكانَ كَقاب القوس أو هَو أنْفَسُ

فَقاسَمْتُهُ نِصْفَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... بَقِيّةَ زَادِي وَالرَّكَايبُ نُعَّسُ

---

(٥٦) همام بن غالب بن صعصعة التميمي، شاعر من أهل البصرة، له أخبار طوال مع جرير توفي عام ١١٠هـ (الأعلام ٨/٩٣).

(٥٧) وصف الطبيعة في الشعر الأموي ١٨٦، إسماعيل أحمد شحادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧.

(٥٨) الديوان ٢/٨، شرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢١هـ ، وقوله: الغريين: اسم موضع (هما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة، معجم البلدان ٤/١٩٦، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩).

ومعنى النص كاملا: الممشوق: الأطلس: الذئب الأغبر الأسود. يقول إنه ألم به ذئب في ذلك الموضع. ويقول إنه كان يتحرى عن فريسة وهو منذ أن فطمته أمه إلى أن بلغ، ما زال يتحرى عن الفرائس ويتربّص بها. ويقول إنه كان حريًا أن يكسوه لو أنه يكسي أي أنه لم يخشه ويرتعب منه. ويقول إنه أقام جنبه على بعد طول الرمح أو أقرب. والركايب: الإبل. ويقول إنه اقتسم بينه وبينه. ويقول مفاخرًا إنه ألف ضيافة من يطرأ عليه ليلاً، ولو كان ذئبًا، وهو لا يتعبّس ولا يتكلّح عليه.

٧- وفي لوحة أخرى للأموي ذاته ((مملوءة بالفخر والثناء)) (٥٩)، يقص علينا الفرزدق لقاءً شعريا آخر مع الذئب، في قصيدة ((التفت فيها إلى الجانب القصصي، وأفاض عليها من الرقة الوجدانية)) (٦٠)، مصورا فيها مشروع الصحبة المتنامي مع الذئب، إذ في النص الأول نرى الذئب يتطفل على الفرزدق، أما في هذا النص الثاني فإننا نرى الفرزدق صاحب مبادرة جريئة، حيث يدعوه في آخر الليل للضيافة. ولعلنا سنلاحظ أن أجزاء من المشهد في النص السابق تتكرر حيث يلح الفرزدق على ألفاظ (الدنو، بيني وبينه) ليضفي على اللقاء جوا من الصحبة والأريحية، ((والحوار الدافئ)) (٦١) الودود.

غير أن الشاعر في غمرة هذا الإكرام لم يكن ليُغفل تحفزه من شيء آخر قد يعكر صفو هذا الجو الودي اللطيف، إن الذئب غير مأمون الغدرات، ولا محمود الصحبة، ومن الذي سيمنعه لو أراد إيذاء الشاعر؟ وبما أن الفرزدق يعي تلك الردة المتوقعة فقد أثبت يده على قائم السيف تحسبا للحظة الحرجة، ولنا أن نتصور لوحة الفرزدق الشعرية على النحو الآتي:

الفرزدق قريب من النار، والذئب مقعٍ يرقبه، وألسنة النار تعلو فتخبو، والفرزدق ينفخها ليشعلها، والدخان منها يتصاعد، وبصر الشاعر يخالس الذئب، ويده مثبتة حينًا على مقبض السيف، وحينًا على أسياخ الشواء الملهوج على النار. ثم يختم الشاعر صورته تلك بتأكيد معنى الأخوة بينه والذئب، مفتخرًا بنفسه التي أبت إلا إكرام الذئب في حين أن الآخرين -لو زارهم- لأضافوه سهمًا حديديًّا أخرق:(٦٢)

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ، وَما كانَ صَاحبًا دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي

---

(٥٩) مجلة الحرس الوطني ص١١٤، العدد ١٤٩، مقالة "ذئب وثلاثة شعراء"، د- محمد الربيع.

(٦٠) فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ١٠٣، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، بلا تاريخ.

(٦١) مجلة المورد العراقية ص٩٥، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ.

(٦٢) الديوان ٣٩٩/٢. وقوله: الأطلس: الذئب الأغبر الأسود. العسّال: المضطرب في عدوه. موهنًا: ليلاً. الزاد: الطعام يحمله المسافر. تكشر: أظهر أنيابه. يقول إنه لو نبه سواه لكان أطلق عليه سهمًا أو نحره بسنان الرمح. ثم يقول إنهما أخوان لأن أهليهما يدأبان على التناحر.

فَلَمَّا دَنَا قُلتُ: ادْنُ دونَكَ، إنَّنِي ... وَإيَّاكَ فِي زَادِي لَمُشْتَرِكَانِ
فَبِتُّ أسَوّي الزَّادَ بَيْنِي وبَيْنَهُ ... عَلَى ضَوْءِ نَارٍ، مَرَّةً، وَدُخَانِ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا ... وَقَائِمُ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانِ
تَعَشَّ فَإنْ وَاثَقْتَنِي لا تَخُونُنِي ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ
وَأنتَ امرُؤٌ، يا ذِئبُ، وَالغَدْر كنتما كُنتُما ... أُخَيَّيْنِ، كَانَا أُرْضِعَا بِلِبَانِ
وَلَوْ غَيْرَنا نَبّهَت تَلتَمِسُ القِرَى ... أتَاكَ بِسَهْمٍ أوْ شَبَاةِ سِنَانِ
وَكُلُّ رَفِيقَيْ كلِّ رَحْلٍ، وَإن هُما ... تَعاطَا القَنَا قَوْماهُما، أخَوَانِ

إن أبيات النص لتؤكد من جديد على أن الفرزدق ابتغى بيان شجاعته وكرمه، ((فهو الذي قدَّ بينه وبينه الزاد، وأناله منه ما أراد، مع أنه يعرف ما للذئب من طبيعة الفتك والغدر، ولكنه يعتمد على ساعد قوي وسيف باتر)) (٦٣).

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي:

٨- نجد أن آصرة الإلف بين الصعلوك الأحيمر السعدي(٦٤) والذئب تأخذ بعدًا أعمق من مجرد الإكرام بالإطعام، إن تشاكل حاليهما في الاشمئزاز من التحضر، والذعر من الناس، جعلهما لا يصطحبان فقط؛ بل يأتلفان، لكأنّ الصعاليك –والأحيمر أحدهم- ((رأوا في هذه الذئاب المتشردة أنفسهم وذواتهم فأسبغوا عليها العطف والوفاء العظيم))(٦٥)، وستتجه صحبة الذئب والصعلوك –في أبيات الأحيمر- نحو الإلف والمصاحبة نفارًا من الإنس بشرط وقف التغيرات العدائية،

(٦٣) مجلة الرسالة، ص٣٠، العدد١٢، ربيع أول، ١٣٥٢، مقالة بعنوان: الذئب في الأدبين العربي والفرنسي، لسامي الدهان.

(٦٤) الأحيمر السعدي، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان لصًا فاتكًا ماردًا، من أهل بادية الشام، قطع الطريق في العراق فأهدر دمه أمير البصرة، تاب عن اللصوصية، وقال في ذلك أبياتًا، توفي نحو ١٧٠هـ (الأعلام ٢٧/١).

(٦٥) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ١٦٩ ، وينظر كتاب: الذئب في الشعر والتراث العربي ص ٤٠.

والأمن من الارتداد إلى طبيعة الغدر السيئة بحيث ((لا يغدر به ولا يخونه)) (٦٦)، يقول الأحمير: (٦٧)

أُرَانِي وذِئْبَ القَفْرِ إِلْفَيْنِ بَعْدَما بَدَأنا كِلاَنا يَشْمَئِزُّ ويُذْعَرُ

تَأَلَّفَني لَمَّا دَنَا وأَلِفْتُهُ وأَمْكَنَنِي للرَّمْيِ لَوْ كُنْتُ أَغْدِرُ

ولكِنَّني لم يَأْتَمِنِّيَ صاحِبٌ فيَرْتابَ بي ما دام لا يَتَغَيَّرُ

ولما بلغت وحشة الأحيمر من الإنس مداها الذي لا يطاق، صار يأنس بصوت أليفه الذئب، وينفر أشد النفار من صوت غريمه الإنس، إن هذه العلاقة لهي عكس للعلاقة المنطقية بين الإنسان والإنسان، وإحياء للعلاقة الجديدة بين الحيوان المتوحش والإنسان، ((لقد كان أشد أنسًا بالوحوش من النَّاس)) (٦٨)، يقول الأحيمر:

عَوَى الذِّئْبُ فاسْتَأْنَسْتُ بالذِّئْبِ إِذْ عَوَى وصَوَّتَ إِنسانٌ فكِدْتُ أَطِيرُ

رَأَى اللهُ أَنِّي للأَنِيسِ لَشَانِئٌ وتُبْغِضُهم لي مُقْلَةٌ وضَمِيرُ

وإلى جانب التأويل المباشر لمعنى البيتين فإنهما يحتملان تأويلا آخر، يكون صوت الذئب فيه مؤشرًا لحب الاغتراب وليس مؤشرًا للصداقة مع الذئب. إنه يومئ إلى أن الشاعر أنس بعواء الذئب؛ لأن العواء يعني بُعد الشاعر المكاني عن البشر، وهذا يعني اطمئنانه للعواء الذي تناهى إلى مسمعه في ذلك المكان القفر، أما حينما صوَّت الإنسان فإنه كاد أن يطير لأنه -بسبب الاغتراب- لا يطيق صوت الإنسي، ولا العيش في محيطه البغيض.

---

(٦٦) السابق ١٦٩.

(٦٧) الشعر والشعراء ٥٣١، محمد بن قتيبة، تحقيق: مفيد قميحة ونعيم زرزور، دار الكتب العمية، ط٢، ١٤٠٥.

(٦٨) أشعار اللصوص وأخبارهم ٧٩٤/٣، جمع: عبد المعين الملوحي، دار الحضارة الجديدة، بيروت، ط١، ١٤١٣.

ومما يؤيد هذا ما روي أن لصوصًا أمنوا الطلب حين عوى الذئب فقال أحدهم: (٦٩)

فَلَمَّا عَوَى الذِّئْبُ مُسْتَعْقِرًا أنِسْنَا بِهِ وَالدُّجَى أَسْدَفُ

٩- والشاعر العباسي الأعمى أبو العلاء المعري(٧٠) يشارك في منظومة الشعراء المكرمين للذئب، المهادنين له، المتعاطفين معه، حيث عمد إلى الصورة النمطية المتكررة لدى الشعراء المتعاطفين مع الذئب، ولكن بصورة تختلف قليلا عنهم.

فالذئب عنده –كما عندهم- ضعيف متهالك، لكنه هنا لم يأت مسالما كالعادة بل جاء معاديا محاربا، يريد الغنيمة بأي وسيلة (صلاحا أو فسادا)، ولكن المعري مع ذلك يجود عليه بما معه بغض النظر عن النوايا الشريرة المبيتة؛ فنبذ إليه خيط فم القربة، وطرح له حزام الرحل، وكلاهما من الجلد، فعاد الذئب رضي النفس جذلان: (٧١)

وأطْلَسَ مُخْلِقِ السِّرْبالِ يَبْغي نَوافِلَنا صَلاحًا أو فَسادَا

كأنّي إذْ نَبَذْتُ له عِصامًا وَهَبْتُ له المَطِيّةَ والمَزَادَا

وبَالي الجِسْمِ كالذّكَرِ اليَماني أفُلّ به اليَمانِيَةَ الحِدادَا

طَرَحْتُ له الوَضِينَ فخِلْتُ أني طرَحْتُ له الحَشِيّةَ والوِسَادَا

١٠- وآخر النصوص التي يمكن الاستشهاد بها في منظومة الشعراء المصاحبين للذئب هو لشاعر مجهول ورد في كتاب "المعاني الكبير" لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).

---

(٦٩) الذئب في الشعر العربي القديم الصورة والنمط الشائع ص٣١٤، د-فضل العماري، جامعة الملك سعود، دراسة رقم ٦٥، الرياض، ١٤١٩. ويقال استعقر الذئب: رفع صوته بالتطريب في العواء.

(٧٠) أحمد بن عبد الله التنوخي المعري، شاعر فيلسوف، ولد ومات بمعرة النعمان، توفي عام ٤٤٩هـ. (الأعلام١/١٥٧).

(٧١) شرح سقط الزند ٢/٢٣٥، أبو العلاء المعري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

والشاعر في هذا النص يتجاوز كل الشعراء السابقين في توصيف العلاقة بينه وبين الذئب التي رسمها من خلال ثلاثة مشاهد متتابعة بأسلوب تمثيلي، لقد رأى الشاعر شخصا خفيا يتضاءل في عتمة الليل، فدفع بكفه الليل(٧٢)، فإذا هو بذئب آيسٍ جائعٍ عطشان، يبحث في هذا الفضاء عن رفيق يطعمه ويسقيه: (٧٣)

لشخصٍ خفي قد رأيتُ مكانَهُ يضائلُ مني شخصَه ويقاصرهُ
دفعتُ بكفي اللَّيلَ عنه وقد بدَت هوادي ظلام الليل فالليل غامرهُ
إذا الذِّئبُ قد أعيتْه كل بغيةٍ وآيسه من كل فجٍ مصادرهُ
وقال لقد أمسيتُ عطشان لاغبًا وأحببتُ أن ألقى رفيقًا أوازرهُ

فما كان من الشاعر إلا أن عرض على الذئب عرضًا سخيًا وهو أن يردفه خلف ظهره على الناقة؛ ليوصله إلى أقرب نقطة يوجد فيها ماء، فقفز الذئب على الحقيبة(٧٤)، وغرس أظفاره في مؤخرة الرحل، وأقعى خلف الشاعر رديفًا مسالما، وسارا –وفي نفس الشاعر ما فيها خوفا من الغدر- حتى وصلا إلى الماء فنزلا وشربا:

فقلتُ التمس فوق الحقيبةِ مركبا ولا تغش حنو الرحل إنك كاسرهُ
فأهوى يديه للحقيبةِ فاستوى عليها فثارتْ وهي عجلى تبادرهُ
فأجلت بنا إجلاءةً ثم راجعت وقد علقت في النِّسعتينِ أظافرهُ
فبتُ على رحلي وباتَ مكانهُ أراقبُ ردفي تارة وأباصرهُ
أراقبُ رِدفي خشيةَ أن يخونني وفي منكبي إن حاولَ الغدرَ زاجرهُ
فلما ورَدنا الماءَ فرّق بيننا وكل ذعت أهواؤه وأواصرهُ

---

(٧٢) أي وضع يده فوق عينيه وحدق في المجهول.

(٧٣) المعاني الكبير ٢٠٦/١، محمد بن عبد الله بن قتيبة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٦٨.

(٧٤) الحقيبة هي: المتسع الذي يكون خلف الرحل في أعلى ظهر الناقة.

ثم قام الشاعر يصلي في مكانه، وانتحى الذئبُ يرمقه من بعيد، قد ألقى جسمه على الأرض بشكل عشوائي حتى بدا كلجامٍ قديم متكسر ، فلما انتهى الشاعر من الصلاة، جاد عليه بالطعام المرتقب، وهو عبارة عن مزادة كبيرة، أخذ الذئب يجرجرها فرحًا، حينًا يتناثر ما فيها من شدة الجذب، وحينًا تصوم:

وقمتُ أصلي وهو ملقى كأنه لجامُ جوادٍ قد تحنت مكاسرهُ

فقلتُ له خذ مزودي فاستعن به على الدهرِ إن الدهرَ جمٌ بوادرهُ

فعهدي به قد جاوزَ الماءَ صادِرًا يجرّ جرابي تارة ويناثرهُ

وهكذا رأينا كيف صور الشعراء صحابة الذئب بوسائل شتى، فمنهم من جاد عليه بالشراب، ومنهم من منحه الطعام اليسير، ومنهم من عقر الناقة، ومنهم من اكتفى بالإرداف والإلف . وكل تلك النماذج العشرة تمثل المبحث الأول الذي يحاول أن يجلو علاقة المصاحبة فيما بين الشعراء والذئب.

المبحث الثاني: العلاقة المحايدة

في هذه المرحلة من البحث نطالع الشعراء في تسعة نصوص شعرية يقفون في المنطقة الوسطى بين مصاحبة الذئب، وبين معاداته، وهي ما يمكن أن يطلق عليها بالمنطقة المحايدة، فيها يتجه الشعراء إلى الذئب لتعداد صفاته، وذكر عاداته؛ دون أن يتخذوا تجاهه موقفا عدائيًّا أو تصالحيًّا.

غير أن الشعراء في تصويرهم ذاك لا يستطيعون إخفاء مشاعرهم تمامًا، فقد يعددون صفاته إعجابًا به فتنحو أبياتهم نحو مشاعر الإعجاب، وقد يعددونها خوفًا فتتجه إلى مشاعر الخوف. وقد يصفونه وصفًا مجردا بحيث تتأرجح عواطفهم في الوسط ولا يخرج القارئ لأبياتهم بأي انطباع، وهذا هو الموقف المحايد الخالص.

وكل هذه الأنواع الثلاثة تنصهر في إضمامة واحدة هي علاقة المحايَدَة.

١- من أوائل الشعراء المحايدين الذين ذكروا الذئب في شعرهم الشنفرى الأزدي(٧٥)، وهو شاعر جاهلي صعلوك، تشبه حياته -إلى حد بعيد- حياة الذئب، حيث الذئب/الشنفرى دائم الجوع، قليل الشبع، مطرَّدٌ في الأرض، لا يقر له قرار، ومن هنا اتشح وصفه للذئب بوشاح التعاطف الرحيم، وذلك لتشابه حاليهما في الحياة.

وبما أن الصعاليك –والشنفرى منهم- يعيشون جزءا طويلا من حياتهم في الصحراء، قريبين من الذئاب، فقد كانت أوصافهم دقيقة لأجزائها وحركاتها وذلك ((لمراقبتهم لها عن قرب، ورصد حركاتها عن كثب، وتسجيل أوصافها بإمعان)).(٧٦)

وهذا ما نراه في لوحة الشنفرى الأزدي التي رسمها للذئب، فهي ملتقطة من حياته البئيسة في البحث عن الطعام، تصور غدوه باحثًا عما يسد به جوعته، يجس التنائف، ويخوت الشعاب، فلا يرجع من ذلك بشيء، حتى إذا بلغ به الجوع مبلغه نادى زملاءه؛ فإذا هو يفاجأ بهم جياع مثله، شيبٌ مهلهلة الوجوه، ضعاف الحال، نحّل العظام: (٧٧)

وأغدُو عَلَى القُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ

غَدَا طَاوِيًا يُعارِضُ الرِّيحَ هافِيًا يَخوتُ بِأَذْنَابِ الشِّعَابِ وَيَعسَلُ

فَلَمَّا لَواهُ القوتُ مِنْ حَيثُ أَمَّهُ دَعَا فَأَجابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ

---

(٧٥) عمرو بن مالك الأزدي، شاعر جاهلي يماني، كان من فتاك العرب وعدائيهم، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم قبائلهم، قتل نحو عام ١٠٠ق هـ، (الأعلام ٥/٨٥).

(٧٦) الطبيعة في الشعر الجاهلي ٢٧٨، د-نوري القيسي، دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ.

(٧٧) شرح لامية العرب ص١٠، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد خير الحلواني، ط١، ١٤٠٣. وقوله: الأزل: الذئب الخفيف الوركين والتنوفة: المفازة، والأطحل: الأغبر اللون. الطاوي: الجائع، والهافي الجائع أو السريع، ويخوت: ينقض، ويعسل: يمشي الخبب. لواه: مطله ودفعه، وأمه: قصده، والنظائر: الأشباه، والنحل، المهازل. مهلهلة: رقيقة اللحم، والقدح: السهم قبل أن يراش، والياسر: القامر، مهرتة: واسعة الأشداق، وفوه: مفتوحة الأفواه، والشدق: جانب الفم، والكلوح التكشير، بسل: كريهة الوجوه، البراح: الأرض الفضاء، والنوح جمع نائحة، علياء: بقعة مرتفعة.

مُهَلهَةٌ شِيبُ الوُجوهِ كَأَنَّها قِداحٌ بِكَفَّي ياسِرٍ تَتَقَلقَلُ
مُهَرَّتَهٌ فوهٌ كَأَنَّ شُدوقَها شُقوقُ العِصِيّ كَالِحاتٌ وَبُسلُ

ثم يصف اجتماع قطيع الذئاب فوق ربوة عالية في تجمهر حاشد ضد الجوع، وكيف ضج رئيسها في ذلك الفضاء، وضجت خلفه الذئاب ... ولكن من دون مجيب، فما كان من هذا الذئب المسكين إلا أن أغضى ((معبرا بإغضائه الصامت عن خيبة أمله في الحصول على الزاد))[٧٨]، فانفض الجمع عما اجتمع عليه. يكابد الجوع، ويتعلل بالصبر، من غير أن يضفر بشيء، والصبر -في هذه الحال جميل- كما يقول الشنفرى:

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالبَرَاحِ كَأَنَّهَا وَإِيّاهُ نوحٌ فَوقَ عَلياءَ ثُكَّلُ
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَاتَّسَى وَاتَّسَتْ بِهِ مَراميلُ عَزّاها وَعَزَّتْهُ مُرمِلُ
شَكا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوى بَعدُ وَارْعَوَتْ وَلَلصَّبرُ إِنْ لَمْ يَنفَعِ الشَكوُ أَجمَلُ
وَفاءَ وَفاءَتْ بادِراتٌ وَكُلُّهَا عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجمِلُ

والشنفرى هو الشاعر الوحيد -من الذين وقفت عليهم- الذي صور الذئب بهذه الصورة العاطفية الحادة، وهذا يشعرنا ((بمدى إلف الشاعر للوحش)) [٧٩]، وميله له، والذي يقرأ عن ذئبه لا يملك إلا أن يتعاطف معه تعاطفًا كليًّا، ربما –كما سبقت الإشارة- بسبب التناظر شبه التام بين حالة الذئب والصعلوك في صراعهما مع الحياة، وجوعهما المطرد ، وهروبهما المستمر، وشعورهما بالاغتراب، مع الاحتفاظ بالعزة والإباء حيث يظفر كل واحد منهما بما يريد من غير أن ((يذل نفسه أو يحقر شأنه)) [٨٠].

(٧٨) مجلة المورد العراقية ص٨٧، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ.

(٧٩) شعر الطبيعة في الأدب العربي ٦٨، د- سيد نوفل، دار المعارف، القاهرة، ط٢ بلا تاريخ.

(٨٠) مجلة المورد العراقية ص٨٦، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ.

٢- والشاعر قيس بن بجرة الفزاري[٨١] ممن وصف الذئب وصفًا محايدًا، وذلك للتعبير عن قوة احتماله الجوع، ومكابدته الألم، ووصفه وصفا خارجيا بحتا، صور فيه مقطعا من معاناة الذئب في الحياة.

في ذلك المقطع نجد ذئب الفزاري يبحث عن رزقه منذ الليل، حتى إن الرائي له يحسب -لشدة ما يقاسي من الجوع- في رجله عرجًا، حتى إذا آيسه الشبع من كل وجه، التف حول نفسه -تماما- كما يُطوى الحبل، ثم رقد، حتى إذا أضحى وأصابت متنه الشمس، حك جلده بنابه الحديد، ((ومد يديه، وتمطى، وتحرك حركة رياضية ليجدد نشاطه وحركته، فاغرًا فاه)) [٨٢]، مباعدا بين لحييه حتى صرَّا، ثم قام -بعد ذلك- يفاضل بين اتجاهين للسلوك، فاتجه باتجاه، ثم بدا له أن يغير وجهته –كأنما فطن لشيء ما-، فسار معاكسا اتجاه ريح الصبا ومضى: [٨٣]

وَأَعوَجَ مِن آلِ الصَّريحِ كَأَنَّهُ بِذي الشَّثِّ سيدٌ آبه اللَّيل جائعُ
بَغى كَسبَهُ أَطرافَ لَيلٍ كَأَنَّهُ وَلَيسَ بِهِ ظَلَعٌ مِنَ الخَمصِ ظالِعُ
فَلَمّا أَباهُ الرِّزقُ مِن كُلِّ وِجهَةٍ جنوبَ المَلا وَآيسَتهُ المَطامعُ
طَوى نَفسَهُ طَيَّ الجريرِ كَأَنَّهُ حَوى حَيَّةٍ في رَبوَةٍ وَهوَ جائعٌ
فَلَمّا أَصابَت مَتنَهُ الشَّمسُ حَكَّهُ بِأَعصَلَ في أنيابه السُّمَّ ناقِعُ

---

(٨١) قيس بن بجرة، وقيل عبد قيس بن بجرة، من بني شمخ بن فزارة، من ناشب. وعنقاء أمه، عاش في الجاهلية دهرًا، وأدرك الإسلام كبيرًا وأسلم. انظر: معجم الشعراء لمحمد بن عمران بن موسى المرزباني تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، طبعة ١٣٧٩هـ ص ١٣٢ . فيمن اسمه قيس.

(٨٢) مجلة المورد العراقية ٩٣، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ.

(٨٣) أمالي المرتضى ٢١٢/٢، الشريف المرتضى علي بن الحسين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٧. وقوله: أعوج: فرس. الصريح: فحل من خيل العرب. حوى حية: أي تحوي حية، وحوى الحية مقدار استدارتها. الأعصل: الناب المعوج. صأى: صاح. رجاع الغدير: ما يتراجع من الماء ويتلفف إذا ضربته الريح. مع أن هناك من نسب جزءا هذه الأبيات لحميد بن ثور انظر: ديوانه ص ١٠٣.

وَفَكَّكَ لِحْيَيهِ فَلَمّا تَعادَيا صَأى ثُمَّ أَقْعَى وَالبِلادُ بلاقِعُ
وَهَمَّ بِأَمرٍ ثُمَّ أَزمَعَ غَيرَهُ وَإِن ضاقَ رِزقٌ مَرَّةً فَهوَ واسِعُ
وَعارَضَ أَطرافَ الصَبا وَكَأَنَّهُ رجاع غَديرٍ هَزَّهُ الرّيحُ رائعُ

٣- وممن صوره تصويرا محايدا كعب بن زهير(٨٤) في قصيدتين اثنتين: الأولى لامية، والثانية ميمية، في الأولى ينحو نحو الخوف الصريح منه، وفي الثانية ينحو نحو التلميح للخوف منه بتضخيم مقدرته على الفتك بالغنم.

يتجه في اللامية إلى تصوير لقياه ذئبا في صحراء دوّية بعيدة، يخيل للماشي فيها أنه يسمع صوت ناسٍ وهو واهم، ((كأنها ضرب من الخيال المرعب)) (٨٥)؛ لشدة ما فيها من خفق الرياح، وأصوات الشجر: (٨٦)

وَصَرْمَاءَ مِذْكَارٍ كَأَنَّ دَوِيَّهَا بُعَيْدَ جَنَانِ اللَّيلِ مِمَّا يُخَيَّلُ
حَدِيثُ أُنَاسِيٍّ فَلَمَّا سَمِعْتُهُ إِذَا لَيْسَ فِيْهِ مَا أَبِينُ فَأَعْقِلُ

ثم يتجه إلى تصوير قصته مع الذئب التي جرت أحداثها في تلك الصحراء الموحشة، ويحاول أن يحلل بعض التصرفات الغريبة من هذا الذئب الصحراوي العجيب عن طريق ((حوار داخلي هادئ)) (٨٧) فيما

---

(٨٤) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني من أهل نجد، هجا النبي فأهدر دمه، ثم تاب، وله صحبة، مات عام٢٦هـ. (الأعلام ٥/٢٢٦).

(٨٥) مجلة المورد العراقية ص٩٠، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ.

(٨٦) شرح ديوان كعب بن زهير ٤١، أبو سعيد السكري، الدار القومية، القاهرة، ١٣٨٥. وقوله: صرماء مذكار: مخوفة ذات هول لا يسلكها إلا الجريء من الرجال، وأرض لا نبت فيها ولا ماء. دويها: صوت الجن يتخيلهم. جنان: ظلمة. الطلس: الأطلس الذي في لونه طلسة، وهي غبرة تعلوها كدرة. يعسل: العسلان. عدو الذئب. يغل: يدخل. أدغال: الدغل الشجر الكثير الملتف. الضراء: ما واراك من شجر أو غيره. يعيل: يميل في ناحيته. الجهاد: الصلب. يمثل: يظهر وينتصب. النساء: عرق في الساق ينحدر من الورك. الشرعة: وتر، شبه نساه بالوتر لظهوره وهزاله.

(٨٧) مجلة المورد العراقية ص٩١، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ.

بينه وبين نفسه، لقد دنا دنوًّا مريبًا، ثم يتساءل لماذا يدنو إلى هذا الحد؟ لقد تجاوز المعهود في عرف الذئاب، إنه لم يدن هكذا –يقول كعب- إلا لأنه جاهل بما ينتظره من الإنسان، أو أنه مضلل من قبل أحد، ويترك الإجابة مفتوحة على طريقة تجاهل العارف: (٨٨)

قطَعْتُ يُمَاشِينِي بِها متضائلٌ من الطُّلْسِ أحيانًا يَخبُّ ويَعْسِلُ

يُخِبُّ ذُنُوَّ الإنسِ مِنْهُ وَمَا بِهِ إِلَى أَحَدٍ يَوْمًا مِنَ الإِنْسِ مَنْزِلُ

تَقَرَّبَ حَتَّى قُلْتُ لَمْ يَدْنُ هَكَذَا مِنَ الإِنْسِ إِلاَّ جَاهِلٌ أَوْ مُضَلَّلُ

وحين صار الذئب قريبًا مدى مرمى النبل لم يُخف الشاعر الصحابي الواقعي مدى الخوف الذي داخَله حين أمعن النظر في وجه الذئب وهو مقبل، حيث غشته الرهبة(٨٩) جراء المطالعة القريبة في وجه المفترس: (٩٠)

مَدى النَّبلِ تَغشَّاني إِذَا ما زَجَرتُهُ قُشَعريرَةٌ مِن وَجهِهِ وَهُوَ مُقبِلُ

ثم يمضي الشاعر في الأوصاف الخارجية الجزئية للذئب مستعرضا عواءه الذي يستقبل به الريح، وكسبه الدائم، وعدم ادخاره وتموله، ولونه الذي يشبه دخان الرمث، ومعرفته بالأرض والأدغال، وسمنه في الشتاء، وهزاله في الصيف، وعروقه التي تشبه الوتر:

إِذا ما عَوَى مُستَقبِلَ الرِّيحِ جاوَبَت مَسامِعُهُ فاه عَلى الزَّادِ مُعوِلُ

كَسوبٌ إِلى أَن شَبَّ مِن كَسبِ واحِدٍ مُحالِفُهُ الإِقتارُ لا يَتَمَوَّلُ

كَأَنَّ دُخانَ الرَّمثِ خالَطَ لَونَهُ يُغَلُّ بِهِ مِن باطِنٍ وَيُجَلَّلُ

---

(٨٨) شرح ديوان كعب بن زهير ٤١.

(٨٩) يشبه هذا قول الأخطل عن الذئب (مصدر الخوف) والغراب (مصدر التشاؤم): ينظر: ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد، دار الكتب العلمية،ط٢، ١٤١٤ هـ صفحة ٣٣٧ .

إذا غشياني هيلت النفس منهما قشعريرة وازددت خوف جنان

وانظر: شرح ديوان كعب بن زهير ص ٢٣٠.

(٩٠) شرح ديوان كعب بن زهير ٤١١.

بَصيرٌ بِأَدغالِ الضَّراءِ إِذا خَدا يَعيلُ وَيَخفى بالجهادِ وَيَمْثُلُ
تَراهُ سَمينًا ما شَتا وَكَأَنَّهُ حَمِيٌّ إِذا ما صافَ أَوْ هُوَ أَهزَلُ

ثم يختم ذلك التصوير الجزئي بوصف كلي في شطر واحد، يشبه الذئب فيه –وقد امتد في الهواء راكضًا فاردًا رجليه ويديه- بمحمل السيف المقوس من الطرفين: (٩١)

كأنَ نَساهُ شِرعَةٌ وَكَأَنَّهُ إِذا ما تَمَطَّى وِجهَةَ الرِّيحِ محمَلُ

٤- ويتجه الشاعر كعب بن زهير في قصيدته الثانية الميمية إلى تضخيم دور الذئب في الفتك بالغنم، وذلك أن بعضا من قومه أشاروا عليه باقتناء الغنم، فأجابهم بأنه يخشى عليها من شيئين:

١-مداهمة الأزمات لها.

٢-ومن الذئب الفاتك الذي يغزو الغنم فلا يخيب .

ثم يسترسل في ذكر الذئب (أويس)، قائلا:

هو في هجماته تلك إما أن يأتي لوحده دابًّا في الليل، أو مع نظرائه، وحينها لا ينفع معه دفع أو منع، فـ((هو جرئ مقدام لا يثنيه عن مراده زجر ولا ضوء ولا ماء)) (٩٢)، ومن الأفضل أن أقطع على نفسي وعلى الذئب طريق خلق العداوات، فلا أشتري غنما من الأصل، هكذا يقول كعب في الميمية:(٩٣)

---

(٩١) السابق.

(٩٢) فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر ٢٣٨، محمد لطفي الصباغ، ط١، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣.

(٩٣) شرح ديوان كعب بن زهير ٢٢٥. وقوله: أويس: تصغير أوس. رذما: سال، يعني الذئب إذا جاع سال أنفه. غير مدخر: أي قوته على مقدار ما يأكل ثم يدع الباقي ويعود في الطلب مرة أخرى. الأشاجع: العروق والأعصاب المتصلة بالأصابع وأصولها لشدة هزاله. أشوى: أخطأ ولم يصب المقتل. الضغم: العض. تبرها: مزقها كما تمزق البرد. الأشلاء: القطع. الوضع: الخشبة التي يكسر الجزار عليها اللحم. شيعته: أصحابه. النهر: من النهار. الظلم: هنا من الظلم أي الظلام. الضائنة: النعجة. ساور: وثب. لم يحل: لم يصب. ظلمة ابن جمير: أظلم ليلة في الشهر. الفطم: السخال التي فطمت. يقول إذا جاء يطلب الكبار فلم يجد ساور الصغار. المغيبة: التي أكلها الذئب وأفلتت، وبها شيء من الحياة. صيداء ملتوية العنق. تنشج: ترمي بالدم وله صوت.

يَقولُ حَيَّايَ مِن عَوفٍ وَمِن جُشَمٍ يَا كَعْبُ وَيْحَكَ هَلاّ تَشتَرِي غَنَمَا
مَا لِيَ مِنهَا إِذَا مَا أَزمَةٌ أَزَمَتْ وَمِن أُوَيسٍ إِذَا مَا أَنفُهُ رَذَمَا
أَخشَى عَلَيهَا كَسوبًا غَيرَ مُدَّخِرٍ عَارِي الأَشَاجِعِ لا يُشوي إِذَا ضَغَمَا
إِذَا تَلَوّى بِلَحْمِ الشَّاةِ تَبَّرَها أَشلاءَ بُردٍ وَلَمْ يَجعَلْ لَهَا وَضَمَا
إِنْ يَغدُ فِي شِيعَةٍ لَمْ يَثنِهِ نَهَرٌ وَإِنْ غَدَا واحِدًا لا يَتَّقِي الظُّلَمَا
وَإِنْ أَطَافَ وَلَمْ يَظفَرْ بِضائِنَةٍ فِي لَيلَةٍ سَاوَرَ الأَقوَامَ وَالنَّعَمَا
وَإِنْ أَغَارَ وَلَمْ يَحلَ بِطائِلَةٍ فِي ظُلمَةٍ ابنِ جميرٍ سَاوَرَ الفُطُمَا
إِذْ لاَ تَزَالُ فَرِيسٌ أَوْ مُغَبَّبَةٌ صَيدَاءُ تَنْشِجُ مِن دُونِ الدِّمَاغِ دَمَا

٥- وحميد بن ثور الهلالي[٩٤] من أشهر وصافي الذئب، ووصفه المحايد ينحو نحو الإعجاب، لأن الشاعر يركز على مكامن القوة والتحمل في الذئب. وقد أوجد الشاعر مدخلا لطيفا للوحته الشعرية، حيث بدأ الصورة بمشهد امرأة نام كلبها الكسول، فقامت تعس غنمها الصغار ليلا؛ لترى هل دهمها ذئب أم لا، فما راعها إلا الأطحل مائل متضائل نحو الأرض ((بهيئةٍ فيها حذر)) [٩٥]، يقول حميد: [٩٦]

تَرَى رَبَّةُ البَهْمِ الفِرَارَ عَشِيَّةً إِذَا ما عَدَا في بَهْمِهَا وهْوَ ضائعُ
فقامَتْ تَعُسُّ ساعةً ما تُطِيقُها منَ الدَّهْرِ نَامَتْهَا الكِلاَبُ الظَّوالِعُ
رَأَتْهُ فشَكَّتْ وهْوَ أَطْحَلُ مائِلٌ إِلى الأَرْضِ مَثْنِيٌّ إِلَيْهِ الأَكارِعُ

ثم ينطلق الشاعر -بعد هذا المدخل اللطيف- ليصور الذئب في حالاته وعاداته، متناسيا قصة المرأة التي خرجت لتعس الغنم.

---

(٩٤) حميد بن ثور الهلالي، شاعر مخضرم، عاش زمنا في الجاهلية، وشهد حنينا مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي -صلى الله عليه وسلم- مات نحو ٣٠ هـ . (الأعلام ٢/٢٨٣).

(٩٥) مجلة المورد العرقية ص٩٣، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ.

(٩٦) الديوان ١٠٣، صنعه: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.

فهو يصف جوعه، وعداوته، وعدْوه، وقوته في مدافعة أعدائه حين يسام ظلما، وقدرته على التوحش والتبدي، وسراه الطويل في الليل البارد البهيم، وقدرته على الهرب والتخفي باتجاه الريح، وقدرته على التكيف مع الأرض التي ينفر إليها حتى لو كانت نائية بعيدة، وحذره حين ينام؛ إذ ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بالأخرى الأعادي، بل إن الطير تتبعه يقينا منها بأن صنائعه في الطَّرد قلما تخطئ: (٩٧)

طَوى البَطْنَ إلاّ مِنْ مَصِيرٍ يَبُلُّهُ ... دَمُ الجَوْفِ أَو سُؤْرٌ منَ الحَوْضِ ناقِعُ
هوَ البَعلُ الدَّاني مِنَ النَّاسِ كالَّذي ... لَهُ صُحبَةٌ وَهوَ العَدوُّ المُنازِعُ
تَرَى طَرَفَيْهِ يَعْسِلاَنِ كِلاَهُمَا ... كما اهْتَزَّ عُودُ السَّاسَمِ المُتَتَابِعُ
إِذَا خَافَ جَوْرًا مِنْ عَدوٍّ رَمَتْ بِهِ ... مَخَالِبُهُ والجانِبُ المُتَوَاسِعُ
وإِنْ باتَ وَحْشًا لَيْلَةً لم يَضِقْ بها ... ذِراعًا ولم يُصْبِحْ لها وهُوَ خَاضِعُ
وَيَسري لِساعاتٍ مِنَ اللَّيلِ قَرَّةٍ ... يَهابُ السُّرى فيها المَخاضُ النَّوازِعُ
إِذا احْتَلَّ حِضْنَيْ بَلْدَةٍ طُرَّ منهما ... لأُخْرَى خَفِيّ الشَّخْصِ للرّيحِ تابِعُ
وإِنْ حَذِرَتْ أَرضٌ عَلَيْهِ فإِنَّهُ ... بِغِرَةِ أُخْرَى طَيِّبُ النَّفْسِ قانِعُ
إِذا نالَ من بَهَمِ البَخيلَةِ غِرَّةً ... عَلى غَفلةٍ مِمّا يَرى وَهوَ طالِعُ
تلومُ وَلَوْ كَانَ ابْنها فَرِحَتْ بهِ ... إذا هَبَّ أرواحُ الشِّتاءِ الزَّعَازِعُ
وَنِمتَ كَنَومِ الفَهدِ عَن ذي حَفيظَةٍ ... أَكلتَ طَعامًا دونَهُ وَهوَ جائِعُ
يَنَامُ بإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ ويَتَّقِي ... بأُخْرَى الأَعَادِي فَهْوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ
إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رأَيْتَ غَيَايَةً ... مِنَ الطَّيرِ يَنظُرْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ

وإذا أمعنا النظر في كل تلك الصفات التي أكد على تتبعها الشاعر، وجدنا أنها معادل موضوعي للصفات التي يحب العربي أن تكون في نفسه، من حيث الشجاعة ، والتحمل ، والحذر ، والاعتماد على النفس ،

(٩٧) السابق.

وأخذ الحق بالقوة، وهو تعبير عن النسق الفكري المسيطر على المخيال العربي تجاه الذئب بشكل عام .

٦- وقد يتخذ الشعراء وصف الذئب وسيلة لإظهار أمر آخر يتعلق بجمالية تصوير المشهد، وفيه تتمثل المحايدة في أظهر صورها، من ذلك قصيدة النابغة الجعدي(٩٨) التي يصف فيها ظبية أرقدت وليدها، فزراه في مرقده أطلس شاحبٌ شحيحٌ، له ظهر طويل، وأوتار عارية، وفم واسع رحيب... وبعد أوصاف متتابعة مهولة تمثل تصور العرب عن الذئب يختم المشهد بنهاية مأساوية حين يمارس الذئب دوره الطبيعي في الحياة بتذكية الوليد بناب ومخلب لا يحتاج معهما إلى حديدة، وإذ تعود الأم ملتمسة صغيرها لا تجد سوى أشلاء مبعثرة، وبقايا مختلطة، فيها شيء من جلد، ووجه، وقرون صغيرة: (٩٩)

كَمُرْقِدَةٍ فردٍ مِنَ الوَحشِ حُرَّةٍ ... آنَامَتْ بِذِي الذِئبَيْنِ بالصَّيفِ جُؤذرَا

فأمْسَى عَلَيْهِ أطلسُ اللونِ شَاحِبًا ... شَحِيحًا تَسمّيهِ النّباطي نَهسرَا

طويلُ القرَا عَارِي الأشَاجِعِ مارِدٌ ... كشَقِّ العَصَا فوه إذا مَا تضَوَّرَا

فبَاتَ يُذكيهِ بِغَيْرِ حَدِيدَةٍ ... آخُو قنَصٍ يَمْسِي وَيُصْبِحُ مُقفِرَا

فلاقتْ بَيانًا عِندَ آوَّلِ مَرْبَضٍ ... إهَابًا، وَمَعْبُوطا مِنَ الجَوْفِ آحمَرَا

وَوَجْهًا كبُرْقوعِ الفتَاةِ مُلمَّعًا ... وَرَوقين لمّا يَعْدُوَا آن تقمّرَا

فلمَّا سَقاهَا اليَآسَ وَارتَدّ همّهَا ... إلَيْهَا، وَلَمْ يترُك لها مُتآخِرَا

آتِيحَ لهَا فرْدٌ خَلا بَيْنَ عَالجٍ ... وَبَيْنَ حِبَالِ الرَّمْلِ في الصَّيْفِ آشْهُرَا

(٩٨) قيس بن عبد الله الجعدي، شاعر مفلق، صحابي، من المعمرين، اشتهر في الجاهلية، وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، توفي نحو ٥٠هـ. (الأعلام ٢٠٧/٥).

(٩٩) الديوان ٦٢، جمع وشرح: عبد العزيز رباح، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٥٩. وقوله: ذو الذئبين: مكان. الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. الأطلس: الذئب الخبيث. النهسر: ولد الضبع وكذلك الذئب. القرا: الظهر. الأشاجع: عروق ظاهر اليد والكف. تضور: تضايق من شدة الجوع. يذكيه: يحثه على الصيد ويرغبه فيه. الإهاب: الجلد. المعبوط: الدم النازف من الجرح. البرقوع: البرقع. الروقان: القرنان. تقمر: اصطاد في ضوء القمر. البأس: الشدة. عالج: رمل في ديار بكر. انجردت الفرس: تقدمت في سيرها.

أما الهدف من تصوير هذه الحالة الرعيبة فهو التعبير عن وصول الأم إلى أعلى درجات التوتر حين وقعت في مأزقين متتاليين هما فقد الوليد بتلك الطريقة الشرسة، ثم لقياها للصائد المتربص بين الرمال ليقنصها.

٧- وقد يتخذونه وسيلة لبيان الشجاعة في ارتياد المفاوز التي لا يصل إليها الإنسان، وورود المياه الآجنة الراكدة في المناطق التي يخشاها المسافر، فيصفونه –حينذاك- وصفًا محايدًا، ومثاله أبيات شاعر الصحراء ذي الرمة(١٠٠).

حيث يصف الصحراء مضمنا وصفه لها ((العناصر الجانبية التي تحف بالمنظر المائي)) (١٠١) الآجن، ثم يصف الذئب - لا للوصف ذاته- وإنما من أجل وصف شجاعته وجسارته.

إننا نرى الشاعر في أبياته يصف قطعه للمفاوز، ووصلوه إلى ماء مالح قد نبتت حوله الطحالب، فلما وصل إليه إذا بالذئب قد جلس حول هذا الماء محزونا عاويا، كأن عواءه رغاء ولد الناقة الصغير العطِش، يروح ويغدو حول هذا الماء، فإذا أحس صوتًا غريبًا شَخَصَ، فإذا تأكد من مصدره سار، وهو في كل سيره ذاك طاوٍ على الجوع: (١٠٢)

وَكائِن تَخَطت ناقتي مِن مَفازَةٍ ...

وَمِن جَوفِ ماءٍ عَرمَض الحَول فوقهُ مَتى يَحسُ مِنهُ مائِحُ القومِ يَتفَل

---

(١٠٠) غيلان بن عقبة العدوي، من فحول الطبقة الثانية، كان شديد القصر دميمًا، عشق مية وشهر بها، مات عام ١١٧ هـ. (الأعلام ٥/١٢٤).

(١٠١) ذو الرمة، خلاصة التجربة الصحراوية ٦١، د- صالح سعيد آغا، دار العلم للملايين، بلا تاريخ.

(١٠٢) الديوان ١٤٨٧/٣، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٤٠٢ وقوله: الجوف: المطمئن من الأرض. العرمض: الخضرة على رأس الماء. عرمض الحول: أتى عليه الحول. المائح: الذي يغرف بيده. يتفل: يبصق من ملوحته. محزون: لأنه في قفر فهو بشر لا يجد ما يأكل. شبه عواءه بصوت فصيل سيء الغذاء وهو المحثل: يقول: لأنه في آخر الليل أجوع ما يكون، والحثل: سوء الرضاع. يخب: في مشيه. يستنشي: يتشمم. النبأة: الصوت الخفي. ينصب: يقوم. أفل: الذئب وقع على الأرض، أقوى: صار في القواء: أي في الخلاء. طاو: ضامر من الجوع معول: كأنما يجاوبه الصدى.

بِهِ الذِئبُ محزونًا كَأَنَ عُواءَهُ عُواءُ فصيلٍ آخِرَ الليلِ محثلِ
يَخُبُّ وَيَستَنشي وَإِن تَأتِ نَبأة عَلى سَمعِهِ ينصبْ لها ثمّ يَمثُلِ
أفلَّ وَأقوى فهوَ طاوٍ كَأنما يُجاوِبُ أعلى صَوتِهِ صَوتَ مُرملِ

٨- والفرزدق يصف مشهدًا من مشاهد الذئب بشكل محايد، إذ نرى في أبياته امرأة تندب حظها العاثر؛ لأن الذئب أغار على كبشها السمين في المرعى ففتك به. ولا يلتفت الشاعر إلى مشاعر المرأة المفجوعة، بل يلتفت إلى حق الذئب الذي تمر عليه أوقات طوال يعاني فيها سورة الجوع، وشدة الظمأ، وحين تصل حال الذئب إلى هذه الدرجة، فإن خياراته تنحصر في اثنين: يغير فيسرق، أو يبقى فيموت، وقد جازف وأغار فحصل على ما يريد، هذه هي حاله فلم نلومه؟:(١٠٣)

تَلومُ عَلى آن صَبَّحَ الذِئبُ ضَأنَها فَالوى بِجُبشٍ وَهوَ في الرَّعيِ رائعُ
وَقد مَرَّ حَول بَعدَ حَولٍ وَآشهُرٌ عَليهِ بِبُؤسٍ وَهوَ ظمآنَ جائِعُ
فلمّا رَأى الإِقدامَ حَزمًا وَأنَهُ آخو الموتِ مَن سُدّت عَليهِ المطالِعُ
آغارَ عَلى خَوفٍ وَصادَف غِرَّة فلاقى التي كانَت عَليها المطامِعُ

٩- وممن وصفه وصفا محايدا الشريف المرتضى (١٠٤) في جزء ممن قصيدة سينية يفتخر فيها بنفسه، حيث ذكر عددا من أوصاف الذئب التي قلد الشعراء فيها بعضهم بعضا في تعدادها وسردها، مثل سيره ليلا، ودوام جوعه، ولونه، وتخفيه، وخداعه...ونَفَس القصيدة يشبه نفس قصيدة البحتري (الدالية) (١٠٥) التي تأتي في سياق الفخر –أيضا-، إن الشريف يصف وقت مجيء الذئب إليه محددا العديد من الأوصاف الجسمية،

(١٠٣) الديوان ٣٨/١.

(١٠٤) علي بن الحسين بن موسى؛ من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، نقيب الطالبيين، وأحد الأئمة في علم الكلام، والأدب، والشعر، يقول بالاعتزال، مولده (٣٥٥هـ)ووفاته (٤٣٦هـ)ببغداد، له تصانيف كثيرة. (الأعلام ٩٩/٦).

(١٠٥) سوف ترد في المبحث التالي.

والصفات المعنوية له؛ من غير أن يسجل تجاهه أي موقف عدائي أو تصالحي؛ لتنتهي اللوحة الشعرية بنصيحة الشاعر للذئب بأن يبتعد عن طريقه ولا يعترضه في المسير، وأن يبحث له عن الفرائس المعتادة "البهم"، وقد كانت استجابة الذئب مباشرة، حيث عوى ثم ولى.

كأن الشاعر يرمز إلى أن أعداءه الحقيقيين لن يجدوا مطلبهم لديه، وعليهم أن يبحثوا عن الوجهة الصحيحة لذلك، وهذا عين ما عبر عنه الشاعر البحتري من قبل، يقول الشريف المرتضى: (١٠٦)

وقد زارنا بعد الهدو توصلا إلى الزاد غرثان العشيات آطلس

شديد الطوى عاري الجناجن ما به مابه من الطعم إلا ما يظن ويحدس

آتاني مغبر السراة كأنه من الأرض لولا أنه يتلمس

تضاءل في قطريه يكتم شخصه وأطرق حتى قلت ما يتنفس

فقلت له لما تولى خداعه تعز فما عندي لنابك منهس

وما كنت آحميك القرى لو آردته برفق ولكن دار منك التغطرس

فلما رآى صبري عليه وآنني آضن على باغي خداعي وآنفس

عوى ثم ولى يستجير بشدّة ويطلب بهماَ نام عنها المحبس

١٠- ومن الأوصاف التي تأتي في هذا السياق، وصف رجل من بني سلول للذئب، حيث يحكي عنه قائلا: هناك ذئب بمكان يدعى أكناف الحمى(١٠٧)، ثقفًا عارفًا بصيرًا، قد مات الخوف في قلبه، يستأنس بالوحدة، يقتات -بدهاء- من لحم الشاء، له أنياب متشعبة تومئ إلى الفتك والقسوة، وله بلعوم واسع، وهامة صليبة، وفمًا ولسانًا ذربين، إنه موحشٌ وحسب: (١٠٨)

---

(١٠٦) الديوان ١١٨/٢. وقوله: الجناجن: عظام الصدر. الطعم: القدرة. السراة: أعلى الظهر.

(١٠٧) إذا أطلق الحمى فالمقصود به غالبا حمى إبل الصدقة زمن الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في محيط بلدة ضرية جنوب غرب منطقة القصيم الآن.

(١٠٨) المصايد والمطارد ١٠٧، محمود بن الحسن كشاجم، تحقيق: محمد أطلس، دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٤.

إنَ بِآكنَافِ الحِمَى آلذِيبَا ثقفا يَحِسُّ البَلدَ الخَصِيبَا
لاَ يَرْهَبُ المسْتَوْطِنَ الجَدِيبَا إنْ بَاتَ وَحْشَا لَمْ يَبِتْ كَئِيبَا
يَعْتَدّ فِي شَاةِ الحِمَى النّصِيبَا يَحْسِنُ فِي ظلمَتِهِ الدّبِيبَا
يعتدّ كَلَّ نَازِحٍ قرِيبَا جَهْمًا تَرَى آنيابَهُ شَعُوبَا
تَرَى لهُ مبلعما رَحِيبَا وَهَامَةَ وعُنُقا صَلِيبَا
وَمَضْحَكا مُنْقَطِعًا خَضِيبَا آشْعَر به مُذلقا مَذرُوبا

١١- وينطلق شاعر آخر مجهول لينعت عائلة ذئاب تسكن في مكان يُدعي "قعرين"، فيصف شدق الأب الواسع، ونابه الحاد، ثم يلتفت إلى صاحبته الذئبة التي تسير وبجوارها جروين، ولها أذنان منتصبتان، وعينان كحلاوان، ومنخران واسعان يستوعبان كميات الهواء الكبيرة الخارجة من جوفها، ولها وثباتٌ واسعةُ الخطو، تقطع بهما الأماكن المتباعدة بشوطين اثنين؛ يقول: (١٠٩)

آنعتُ ذئبا من ذئاب قعرينِ منهرت الشِدّقِ حَدِيد النّابينِ
تَبري له طلسَاء ذات جَرْوِيْنِ مَآلولةَ الأذنَيْنِ كَحْلاءَ العَيْنِ
ومِنْخَرَيْنِ خُلِقا مسودّين لكلّ رِيحٍ نفخت معدّينِ
تَعْدُو العِرَاضَاتِ بِشَوْطَيْنِ اثنَيْنِ

وهكذا رأينا في هذا المبحث كيف أن الشعراء في أحد عشر نصا شعريا قد وقفوا من الذئب موقفا محايدا لم يفصحوا فيه عن مصاحبة أو عداء، وكيف أن موقفهم ذاك لا يعبر عن المحايدة الخالصة، إذ قد ينحون نحو الإعجاب به، أو الخوف منه، وهم –في كل ذلك- لا يشيرون إلى مصاحبته وإلفه، ولا عن مطاردته وقتله.

المبحث الثالث: علاقة المعاداة

(١٠٩) المعاني الكبير ١٩٧/١.

وإلى جانب علاقة المصاحبة –المصطنعة- بين الذئب والإنسان التي صورها الشعراء بنوع من الفخر والزهو، وعلاقة المحايدة التي اتخذت عدة اتجاهات في التصوير؛ فإن هناك من صوَّر العلاقة على حقيقتها: علاقة المعاداة.

وقد جاء تصويرهم وفقا للعديد من الأنواع لكن أكثرها وضوحا حين يصورون وقوف الذئب في جانب، والإنسان في جانب، ثم احترابهما، والملاحظ أن الفوز –دوما- هو حليف الإنسان؛ لأن الشاعر ما جاء بالحادثة إلا ليفتخر، أو لينتقم؛ فمن المعقول أن ينتهي سياق الأحداث بانتصار الشعراء على الذئب سواء تناولوه بحقيقته الحيوانية، أو بصورته الرمزية.

ومن الممكن إرجاع السبب الذي دعا الشعراء إلى قتل الذئب –كما هو في قصائدهم- إلى أحد سببين:

١-هجومه على الغنم، فيكون موقف الشاعر موقف المدافع عن ماله.

٢-أو هجومه على الإنسان في الفلاة، فيكون موقفه موقف المدافع عن النفس.

والمكانان تبعًا لهذا مختلفان، ففي الأولى يكون الذئب هو الزائر للإنسان في مستقر إقامته. وفي الثانية يكون الإنسان هو الزائر للذئب في مقر معيشته.

والعادة لدى الشعراء أن يكون قتله بطريقة واحدة؛ هي إرسال السهم لا السيف، وهي الطريقة المنطقية؛ لأن الاحتراب مع الذئب قلَّما يكون عن قرب، وهو ما جعلهم يقتلونه بالسهم الذي يفي بالتسديد للغرض البعيد(١١٠).

ومجمل ما عثرت عليه من النصوص التي تصور هذه العلاقة هي ثمانية نصوص، وسأوردها تباعا في هذا المبحث.

---

(١١٠) نصوص المعاداة ثمانية، ستة منها نصت على القتل بالسهم، ونص واحد قتله بالسيف لمالك بن الريب، ونص واحد عاداه بالدعاء لشاعر مجهول.

١- من النصوص التي تحدثت عن علاقة المعاداة، المقطوعة الرجزية التي صور فيها الشاعر أبو خراش الهذلي(١١١) ((بصورة دقيقة مكتملة التفاصيل)) (١١٢) الهجمة الشرسة التي قام الذئب ضد غنمه، إذ انتقى الذئب من قطيعه الآمن سمينة ذات درٍّ وشحم، وافترسها بوحشية مفرطة، فانفرط أبو خراش على الذئب لا يلوي على شيء، في يده قوس رائعة، فأرسل منها سهما حديدًا له طنين، فخضب به دم المعتدي فلم يخطئ، ولم يشرم، بل استقر في جسد المعتدي الجسور: (١١٣)

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ، وَالأَمْرُ عَمَمْ هَلْ جَارَ كَعْبٌ عَنْكَ مِنْ بَيْنِ النّسَمْ

مَا صَنَعَ اليَوْمَ آوَيْسٌ فِي الغَنَمْ؟ صَبَّ لهَا فِي الرّيحِ مِرّيخٌ آشَمْ؟

فاعْتَامَ مِنْهَا لجْبَةَ ذاتَ قزَمْ حَاشِكَةَ الدِّرَّةِ وَرْهَاءَ الرَّخَمْ

فجِئْتُ لاَ يَشْتَدّ شَدِّي ذو قدَمْ وَفِي الشّمَالِ سَمْحَة مِن النّشَمْ

صَفرَاءُ مِنْ آقوَاسِ شَيْبَان القدمْ تَعُجُّ بِالكفِّ إذا الرَّامِي اعْتَزَمْ

تَرَنَمَ الشّارِفِ فِي آخرَى النّعَمْ فقلتُ خُذهَا لا شَوًى وَلاَ شَرَمْ

قدْ كنْتُ آليْتُ فثَنّيْتُ القسَمْ لئِنْ نَأيْتُ آوْ رَمَيْتُ منْ آمَمْ

لآخضِبَن بَعْضَكَ مِنْ بَعْضٍ بِدَمْ

وأبو خراش الهذلي في هذا التصوير يتفق مع ما قاله بعض النقاد عن الهذليين بأنهم ((لأوصاف حيوانات الصحراء أحكم، وحديثهم في

---

(١١١) خوليد بن مرة الهذلي، شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور، اشتهر بالعدو، فكان يسبق الخيل، أسلم وهو شيخ كبير، توفي نحو ١٥هـ (الأعلام ٢/٣٢٥).

(١١٢) وصف الحيوان في الشعر الهذلي ١٥، د- إسماعيل النتشة، نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤٠٢هـ.

(١١٣) شرح أشعار الهذليين ٢/٥٧٥، الحسن السكري، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة المدني، القاهرة. وقوله: عمم: عام. النسم: الناس. أويس: الذئب. مريح: من المرح. ولعله "مريخ"، كما في اللسان. اعتام: اختار. لجبة: هي التي أتت عليها أربعة أشهر من ولادتها فخف لبنها. القزم: اللئيم من كل شيء. حاشكة: حافل. ورهاء: مجنونة. الرخم: المحبة. يقول: هي حاشكة الدرة وقد ولى لبنها. ورهاء الرخم: ترأم ولدها وتحبه.

إبراز حركاتها أدق)) [١١٤] لأنهم عايشوها –كالصعاليك- من قرب، وراقبوها من فهم، فعبروا عنها بمعرفة عميقة، وعلم أكيد.

٢- ويتذكر الشاعر مالك بن الريب[١١٥] لقاءً حادًا حدث بينه وبين الذئب؛ ليستعرض خلال ذلك قدرته وبسالته، وليُدل بشجاعته وجرأته؛ وذلك حين لم يرضخ الذئب للتهديدات الموجهة إليه، فانقلبت قوة الذئب المُتغنى بها إلى هزأةٍ وضحكة يتسامع بها الجميع.

كان مالكٌ نائمًا ليلاً، فخاتله الذئب ليؤذيه، فزجره مرة فلم يستجب، وأخرى فلم يرضخ، ((فأعاد فلم يبرح)) [١١٦]، بل لج في عناده ومغالبته، فما كان من الشاعر إلا أن أرسل مثلا يوحي بالقوة فقال: إن كنت ذئبا فقد لاقيت ضرغاما، ثم أرسل له سلاحًا جديدًا لم يذكره شاعر غيره[١١٧]؛ هو السيف؛ فانقلب الذئب القوي إلى جثمانٍ هامد.

ويستمر الشاعر في مخاطبة الذئب –حتى بعد أن مات- ليقول له إنني البطل الشجاع الذي يصرع الكمي ويرغم أنفه بالتراب، وكأنه لجأ إلى ذكر السيف إمعانا في التبجح بالشجاعة، لأن الالتحام مظنة القوة: [١١٨]

آذئبَ الغضا قد صرتَ للناس ضُحكة ... تَقاوى بك الركبانَ شرقا إلى غربِ

فآنت وإن كنتَ الجريءَ جنانَه ... مُنيتَ بَضرغام من الأسُد الغَلبِ

بمن لا ينامُ الليلَ إلا وسيفه ... رهينةَ آقوام سِراعٍ إلى الشّغْبِ

آلم تريني يا ذئبُ إذ جئتَ طارقا ... تخاتِلني آني آمرؤ وافرُ اللبِّ

زجرتكَ مراتٍ فلما غلبتَنى ... ولم تنزجر نهنهتُ غربَك بالضرب

---

(١١٤) الطبيعة في الشعر الجاهلي ٢٧٩.

(١١٥) مالك بن الريب التميمي، شاعر من الظرفاء الفتاك، عدل عن قطع الطريق وتنسك، مرض بمرو، ولما أحس بالموت قال قصيدته المشهورة "ألا ليت شعري.."، توفي عام ٦٠. (الأعلام ٢٦١/٥).

(١١٦) الأغاني ٢٩٦/٢٢.

(١١٧) هناك شاعر واحد–لم أورد بيتيه في هذا البحث– ذكر أنه تبارز مع الذئب بالسيف وهو عبد الله بن ربيع، ذكره صاحب معجم البلدان في مادة "بتيلة" ٤٠٠/١.

(١١٨) الأغاني ٢٩٧/٢٢.

فصرت لقى لما علاك ابنُ حرَّة بأبيض قطاع يُنَجّي من الكرْبِ
آلا ربَّ يومٍ ريبَ لو كنت شاهدًا لهالك ذِكرِي عند مَعمعة الحربِ
ولستَ تَرى إلا كَمِيًّا مجدّلاً يداه جميعًا تثبتانِ من التّربِ

٣- ومجنون ليلى[١١٩] -شاعر الغزل الرقيق- يعمد إلى قتل الذئب بقليل من الرحمة وكثير من الحنق، وذلك انه رأى غزالاً ترعى روضةً ربيعية جميلة، فانقلب الغزال في مخيلة الشاعر إلى صورة لمحبوبته ليلى، فتعاطف الشاعر مع شِبه ليلى، وأمنها من الخوف، وصار حارسًا أمينًا يدفع عنها العدوان، وفجأة انقض ذئب فأنشب في الغزال المؤمَّن أظفاره، واستخرج روحها بوحشية، فما كان من المجنون إلا أن أرسل سهما خالط مهجة الذئب، فأزهق نفسه، وشفى بذلك وقدة الثأر في صدره.

إنها قصة رمزية تومئ فيها الحيوانات إلى شخوص إنسانية بحتة، الغزال فيها ليلى، والذئب فيها خاطب ليلى (زوجها)، وقد تصور المجنون أنه بهذه الأخيولة الحيوانية يستطيع أن يشفي غليله الحقيقي[١٢٠]:

رَأَيْتُ غَزَالاً يَرْتَعي وَسْط رَوْضَةٍ فقَلتُ أَرَى لَيلى تَراءَتْ لنَا ظَهْرَا
فَيَا ظَبيُ كَلْ رَغْدًا هَنيئًا وَلا تَخَفْ فَإِنّكَ لي جَارٌ وَلا تَرْهَبِ الدّهْرَا
وَعِنْدِي لكَمْ حِصْنٌ حَصِينٌ وَصَارِمٌ حُسَامٌ إِذَا أَعْمَلتُهُ أَحْسَنَ الهَبْرَا
فَمَا رَاعَنِي إِلاّ وَذِئْبٌ قَدِ انْتَحَى فَأَعْلقَ في أَحْشَائِهِ النّابَ وَالظفَرَا
فَبَوَّأتُ سَهْمِي في كَتومٍ غَمَزتُهَا فَخَالط سَهْمِي مُهْجَةَ الذِئبِ وَالنَّحْرَا
فَأَذهَبَ غَيْظِي قتلهُ وَشَفَى جَوًى بِقَلبِيَ أنّ الحُرَّ قدْ يُدْرِك الوَتْرَا

(١١٩) قيس بن الملوح العامري، شاعر غزل من المتيمين، من أهل نجد، لم يكن مجنونًا وإنما لقب هذا لهيامه في حب ليلى بنت سعد، توفي عام ٦٨هـ (الأعلام ٢٠٨/٥).

(١٢٠) الديوان ١٧١، جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٩.

٤- والعلاقة الوحشية بين الذئب والغنم تتكرر عند الشاعر الشمردل[١٢١] الذي أخذ الذئب ((يفترس منها الشاة تلو الأخرى)) [١٢٢]، فتشاءم على إثر هجماته المتكررة، ونشأت بينهما علاقة وحشة، فاقتص منه انتقامًا للغنم، وحفاظا على المال .

لقد هجم الذئب –كالإعصار- متترسا بجناح الليل، فقام الشاعر فزعًا-لـمّا يفارق النوم عينيه بعد- في إثر ضجة الغنم، وأسرع يعدو فطار -لشدة عدوه في لحاق الذئب- مئزرُه، ثم حدثت مطاردة صاخبة بينهما، هو يطرد، والذئب يروغ، فلما لم يصله برجله وصله بسهمه، فأرسله بحذق واحترافٍ فاخترق جسده.

ولم يخبرنا الشاعر بعد ذلك ما الذي حدث بعد هذا الاختراق؛ غير أن بَيَاته آمنًا يدل على أنه أماته، وتكبيره-بعد ذلك-يدل على أنه انتصر عليه؛ إذ التكبير دلالة الفوز:[١٢٣]

هَلْ خُبِّرَ السِّرْحَانَ إذ يَسْتَخْبِرُ ... عَنِّي وَقدْ نَامَ الصِّحَابُ السُّمَّرُ

لمَّا رَأَيْتُ الضّآنَ مِنْهُ تَنْفِرُ ... نَهَضْتُ وَسْنَانَ وَطارَ المِئْزَرُ

وَرَاعَ مِنْهَا مَرِحٌ مُسْتَهتِرُ ... كأَنَهُ إعْصَارُ رِيحٍ آغبَرُ

فلمْ أزَل أَطرُدُهُ وَيعكرُ ... حَتَّى إذا اسْتَيْقنْتُ أَلاَ أَعْذرُ

وإِنْ عَقرَى غنَمِي سَتَكثُرُ ... طارَ بِكَفِي وَفؤَادِي آوجرُ

تمتَ أَهْوَيْتُ لهُ لاَ أَزجَرُ ... سَهْمًا فوَلى عَنْهُ وَهْوَ يَعثرُ

وَبِتّ لِيْلِي آمِنًا أَكبّرُ

---

(١٢١) الشمردل بن شريك التميمي، شاعر هجاء، له في الصيد والطراد أراجيز حسان، توفي نحو ٨٠هـ. (الأعلام ١٧/٣).

(١٢٢) الصيد والطرد في الشعر العربي ١٥٧.

(١٢٣) الأغاني ٣٦٣/١٣، أبو الفرج الأصفهاني، شرحه: سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢.

٥- وإذا كان مسرح اللقاءات بين الشعراء والذئب يحدث في مستقر الشاعر عند غنمه؛ فإن اللقاء العدائي الطريف الذي حدث بين الطرماح(١٢٤) والذئب دارت أحداثه في مكان آخر هو الصحراء، إنها لوحة من اللوحات النمطية التي تحدث في صحراء العرب.

في آخر الليل، وبعد سفر مضنٍ طويل، ما كاد المقام يستقر بالشاعر حتى فجأه ذئب صحراوي متطفل، وهنا يلتفت الشاعر متمعنًا في أوصافه الجسدية الدالة على القوة، كحركة الرجلين، وشكل العينين، وإلى وصفه الطبعي الشهير وهو الخداع والمكر، يقول في المشهد الأول: (١٢٥)

فعَرَّستُ لمّا استَسلمَت بَعدَ شَاوِهِ تَنَائِفَ ما نجا بِهِنَّ هَجوعُ

تَأَوَّبَنِي فيها عَلى غيرِ مَوعِدٍ آخو قفرَةٍ يَضحى بِها وَيجوعُ

مِنَ الزِّلِ هِزلاجٌ كأنَ بِرِجلِهِ شِكالاً مِنَ الإِقعاءِ وَهوَ مَلوعُ

كذي الظنِّ لا يَنفكّ عَوضُ كأنَهُ آخو جَهرَةٍ بِالعَينِ وَهوَ خُدوعُ

تم تبدأ تفاصيل المشهد الثاني من هذه اللوحة الصحراوية، حيث ينزل الشاعر متاعه ورحله عن ظهر مطيته، ويلتفت فيرى الذئب قد اتخذ وضعا جديدا، مما يوحي بأن عاصفة حرب صحراوية وشيكة، فما كان من الشاعر إلا أن أرسل جملة من التهديدات الكلامية التي تتضمن ثلاث

---

(١٢٤) الطرماح بن حكيم الطائي، شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ بالشام، وانتقل للكوفة، شاعر هجاء، اعتنق مذهب الشراة من الخوارج، توفي نحو ١٢٥هـ (الأعلام ٣/٢٢٥).

(١٢٥) الديوان ٣٠٦،، تحقيق: عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨٨.

وقوله: عرست: أي نزلت من آخر الليل للاستراحة. الشأو الشوط والطلق، ويريد شأو البعير ها هنا. التنائف: جمع تنوفة، وهي القفر من الأرض. الهجوع: الرجل الغافل الأحمق، من الهجوع وهو النوم. تأوبني: أي أتاني ليلا. أخو قفرة: يريد ذئبًا أتاه. يضحى: أي يبرز إلى الشمس، والمعنى أنه لا يستظل، وإنما يعاني وقد الهواجر ويظمأ. الزل: جمع أزل، وهو الخفيف في صفات الذئب. الهزلاج: السريع الخفيف. الشكال: الحبل الذي تشد به قوائم الدابة. الإقعاء: جلوس الذئب مفترشًا رجليه وناصبًا يديه. الملوع: الخفيف السريع. احزأل: جلس مجتمعا بعضه إلى بعض، الشفا: حرف الشيء، الخنوع: المكر، استحرز: تحصن، الظلماء: الليل المظلم.

لاءاتٍ وأمرين، يحذره فيها من مغبة الدخول في معركة معلومة النتائج، مؤكدًا على أن عدم الالتزام بها يؤذن ببدء الحرب. لقد قال له (لا تخن، لا تعو، لا تنخنع، تعلَّم، استحرز).

أما الذئب فاخترق أحد المناهي بعوائه ، فلما رأى الشاعر أن الذئب قد عانده، ركَّب السهم في قوس ممتازة، فأرسلها، فأصاب مقاتله:(١٢٦)

فَالقَيتُ رَحلي وَاحزَألَ كَأَنَّهُ شَفا مجَنَحٌ، في مُنْحَنَاهُ ضُجُوعُ

فقلتُ تَعَلمْ يا ذؤال وَلا تَخَنْ ولاَ تَنخَنِعْ لليلِ، وَهوَ خَنوعُ

وَلا تَعوِ وَاستَحرِز وَإن تَعوِ عَيَّة تَصادِف قرَى الظلماءِ وَهوَ شَنيعُ

فلمّا عَوَى لِفتَ الشِمَالِ سَبَعْتُهُ كمَا آنا آحيانًا لهُنَّ سَبوعُ

دَفعتُ إليهِ سَلجَمَ اللحْيِ نَصْلهُ كبادِرَةِ الحَوْءِ وَهوَ وَقيعُ

تَزَلزَل عَن فرعٍ كأنَ مُتونها بِها مِن عَبيطِ الزَّعفرانِ رُدوعُ

مِنَ المرزِماتِ الملسِ لم تكس جلبة وَلكِن لها إطنَابَة وَرَصيعُ

فراغ عَواري اللِيطِ تَكسَى ظباتها سَبائِبَ مِنها جاسِدَ وَنجيعُ

٦- والبحتري(١٢٧) ـأيضًا- ((قدَّم لنا قصة سينمائية جميلة عن نفسه وذئبه)) (١٢٨)، حين التقى ذئبًا في صحراء موحشة لا مجال فيها للهرب أو المناورة، حيث تتجه الأحداث فيها بين الأعداء إلى المجابهة في ((معركة شرسة دارت بينهما .. وانتهت بانتصار الشاعر ومقتل الذئب))(١٢٩)، وكانت اللقيا بينهما وقت ما يدعى بـ((الزمن

(١٢٦) السابق ٣٠٦.

(١٢٧) الوليد بن عبيد الطائي، ولد بمنبج عام ٦٠٢، ورحل إلى العراق، واتصل بالخلفاء هناك، يقال لشعره سلاسل الذهب، توفي. بمنبج عام ٢٨٤هـ. (الأعلام ١٢١/٨).

(١٢٨) مجلة الرسالة، ص٣٠، العدد١٢، ربيع أول، ١٣٥٢، مقالة بعنوان: الذئب في الأدبين العربي والفرنسي، لسامي الدهان.

(١٢٩) مجلة الحرس الوطني ص١١٤، العدد ١٤٩.

الرمادي))[١٣٠]، سحرًا آخر الليل، وقد كان العدو ذئبًا عظيمًا ذا صدر بارز، يجر ذنبًا يشبه الحبل الغليظ، قد بلغ الجوع به مداه، فهو يبحث عن رائحة لحم يسد بها جوعتِه، فأوقعه حظه السيئ في مواجهة البحتري، فالتقى الذئب الجائع بالبحتري الجائع، فكان كل واحد منهما يحدِّث نفسه بأكل صاحبه: [١٣١]

وَلَيْلٍ كَأَنَ الصُّبحَ فِي آخَرِياتِهِ ... حُشَاشَةَ نَصْلٍ ضَمَّ إِفرِنْدَهُ غِمْدُ

تَسَرْبَلَتْهُ وَالذِئبُ وَسْنَانَ هَاجِعٌ ... بِعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ مَا لَهُ بِالكَرَى عَهْدُ

آثِير القطا الكدْرِيَّ عَنْ جَثَمَاتِهِ ... وَتَآلفنِي فِيهِ الثّعَالِبُ وَالرُّبْدَ

وَأطلسَ مِلْءِ العَيْنِ يَحْمِلُ زَوْرَهُ ... وَأَضْلاعُهُ مِنْ جانِبَيْهِ شَوًى نهدَ

لهُ ذنَبٌ مِثْلُ الرَّشَاءِ يَجُرُّهُ ... وَمَتْنٌ كمَتْنِ القوْسِ آعْوَجُ مُنآدّ

طوَاهُ الطوَى حَتَّى اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ ... فمَا فِيهِ إِلاّ العَظمُ وَالرُّوحُ وَالجِلدَ

يُقضْقِضُ عُصْلاً فِي آسِرَّتِها الرَّدَى ... كَقَضْقَضَةِ المَقْرُورِ أَرْعَدَهُ البَرْدُ

سَمَا لِي وَبِي مِنْ شِدّةِ الجُوعِ مَا بِهِ ... بِبَيْدَاءَ لَمْ تَعْرَف بِهَا عَيْشَةَ رَغدَ

كِلانا بِها ذِئبٌ يَحَدِّثُ نَفسَهُ ... بِصاحِبِهِ وَالجَدّ يُتعِسُهُ الجَدّ

---

(١٣٠) مجلة المورد العراقية ص٩٦، العدد الأول المجلد الثامن، عام ١٣٩٩هـ.

(١٣١) الديوان ٢/٧٤٠، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣. وقوله: حشاشة النصل: بقيته. الإفرند: جوهر السيف ووشيه. تسربلته: أي سرت فيه. الوسنان: النائم في غير استغراق. ابن الليل: اللصّ. الكدريّ: الأغبر المائل في غبرته إلى السواد. جثماته: مراقده. الرّبد: الأسود. الأطلس: الذّئب وهو المغبر إلى سواد. الزور: أعلى وسط الصدر. الشوى: الأطراف، أي ما كان غير مقتل من الأعضاء. النّهد: البارز. الرشاء: الحبل. المتن: الظهر. المنأد: المعوج. الطوى: الجوع. استمر مريره: أي قوي بعد ضعف. يقضقض عصلا: أي يخرج بضرب أسنانه بعضها على بعض صوتًا شبيهًا بقضقضة العظام. في أسرتها الردى: أي في خطوطها الموت. أقعى: ارتد على مؤخره. ارتجزت: رفعت صوتي رجزًا. أوجرته خرقاء: أي رميته بسهم أعمى. الخسيس: القليل. المنعفر: الممرغ في التراب. القعدد: الجبان الخامل. حشاشة النصل: بقيته .

وكانت المبادرة من الذئب، حيث عوى منذرًا، فأجابه البحتري مرتجزًا، فاهتاج الذئب وانقض برقًا سرعةً، ورعدًا صوتًا، فرد البحتري على مباغتته بسهم يشبه الكوكب اللامع يهوي في الليل الدامس امتحانًا لمدى صدقه في المواجهة، فما ازداد الذئب إلاّ تصميمًا على المنازلة، فأرسل له البحتري سهما استقر في موضع اللب، والرعب، والحقد؛ ألا وهو القلب، فخر صريعًا مجدلاً.

وقام إليه الشاعر- وقد بلغ به الجوع مبلغه- فاشتواه، ونال يسيرًا منه، ثم ولي عنه وهو منعفر فرد في نهاية مأساوية حزينة: (١٣٢)

عَوَى ثُمّ آقعَى فارْتَجَزْتُ فهِجْتُهُ ... فَاقبَلَ مِثْلَ البَرَقِ يَتبَعُهُ الرَّعْدَ

فَاَوْجَرْتُهُ خَرْقاءَ تَحسَبُ رِيشَهَا ... عَلى كَوْكبٍ يَنّقضّ واللّيْلُ مُسْوَدّ

فمَا ازْدَادَ إلاّ جُرْآة وَصَرامَة ... وَآيْقنْتُ آن الأمْرَ مِنْهُ هُوَ الجِدّ

فَاتبَعْتُهَا آخرَى فَاضّللتُ نَصْلَهَا ... بِحَيْثُ يَكونَ اللبُّ والرُّعْبُ والحِقدَ

فخَرَّ وَقد آورَدتَهُ مَنهَلَ الرَّدى ... عَلى ظمَإٍ لو آنَهُ عَذبَ الوِردْ

وَقمتُ فجَمَّعتُ الحَصى وَاِشتَوَيتُهُ ... عَليهِ وَلِلرَمضاءِ مِن تحتِهِ وَقدَ

وَنِلتُ خَسيسًا مِنهُ ثمّ تَرَكتُهُ ... وَآقلعْتُ عَنهُ وَهْوَ مُنعَفِرٌ فرْدُ

على أن هناك من قرأ هذه القصيدة قراءة رمزية(١٣٣)، حيث يرى ألا مواجهة حقيقية بين البحتري والذئب، وأن هذه المواجهة تومئ إلى العلاقة المتوترة بين الشاعر وأعدائه الذين كانوا يتربصون به في مقتبل عمره، وأن الذئب المصروع هو رمزٌ لهذه المشكلات والعداوات، وأنه في النهاية سيعلو على تلك المتاعب والصعاب كما علا على الذئب، وأنه

(١٣٢) الديوان ٢/٧٤٠.

(١٣٣) هو الدكتور عبده بدوي في كتابه دراسات في النص الشعري، العصر العباسي ١٤٣، د- عبدوه بدوي، دار قباء، القاهرة، بلا تاريخ.

سينهي علاقاته مع أعدائه "بحسم ودم" (١٣٤). وهي قراءة مشروعة، إذ النص يحتمل مثل هذا التفسير، خاصة وأنه أشار إلى المواجهة مع أعدائه في بداية القصيدة.

كما أن هناك من طعن في مقدرة البحتري على وصف للذئب، والمعركة معه، وقال إنه مقلد سيئ التقليد؛ إذ هو حضري شامي لا يعرف طريقة العرب في تصوير الذئب، ولذا لجأ إلى اشتوائه وأكله(١٣٥).

وهو تحامل لا مبرر له؛ إذ تصوير البحتري للمعركة مع الذئب يعد من عيون ما قاله الشعراء في وصف الذئب. وإذا أخطأ الشاعر البحتري في بعض النواحي المضمونية فإن ذلك لا يعني نفي جمالية القصيدة، وأما كونه حضريا فإنه –بغض النظر عن مقامه وسكناه- من المشهور المعروف أن ثقافة البحتري عربية أعرابية(١٣٦) .

٧- وممن وصف الذئب وفقا لسياق المعاداة الشريف الرضي(١٣٧)، وهو يسرف في أوصاف الذئب الذي تواجه وإياه ثم قتله، مصورا جل أجزاء جسم الذئب، ضامًا جل تصورات العرب عنه، ذاكرًا شكله، ولونه ((وصلابة عزمه، وحيلته، وعاداته في الصيد))(١٣٨) في سبعة عشر بيتا، ليقول في الأبيات الثلاثة الأخيرة إن هذا الذئب الذي يحمل كل تلك الصفات السابقة؛ قد التقيته في الصحراء حين نزلتها أنا وأصحابي، فاستأمنوه وحذِرته، فبت أرقبه، فلما راغ علينا آخر الليل

---

(١٣٤) السابق ١٤٤.

(١٣٥) هو الدكتور سيد نوفل في كتابه شعر الطبيعة في الأدب العربي ص١٨٦.

(١٣٦) ينظر –على سبيل المثال– كتاب: الموازنة بين الطائيين للآمدي، تحقيق السيد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٩٥م ١/٤ .

(١٣٧) محمد بن الحسين بن موسى العلوي، أشعر الطالبيين، مولده ووفاته ببغداد، ولد عام ٣٥٩، وتوفي عام ٤٠٦هـ، (الأعلام ٩٩/٦).

(١٣٨) الشريف الرضي حياته ودراسة شعره ١٨٠، د– عبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط١، ١٤٠٦.

صرعته بالقوس الرائعة، له الويل؛ أراد طعامًا ((فعاد طُعمة)) (١٣٩)، يقول الشريف: (١٤٠)

وَعَاري الشَّوَى وَالمَنْكِبيْنِ مِنَ الطوى ... آتيحَ لهُ باللَيْلِ عَارِي الأشَاجِعِ
آغبِرُ مَقطوعٌ مِنَ الليلِ ثوبُهُ ... آنيسٌ بِأطرافِ البِلادِ البَلاقِعِ
قليلُ نَعاسِ العَينِ إلا غِيابَة ... تمرُّ بِعَيني جاثِمِ القلبِ جائِعِ
وَلمَّا عَوَى وَالرَّملُ بَيني وَبَينَهُ ... تَيَقنَ صَحبي آنَهُ غيرُ راجِعِ
تَآوَّبَ وَالظلماءُ تَضرِبُ وَجهَهُ ... إلينا بِآذيالِ الرِّياحِ الزَّعازِعِ
لهُ الوَيلُ مِن مُستَطعِمٍ عادَ طعمَةً ... لِقَومٍ عِجالٍ بِالقِسِيِّ النَّوازِعِ

٨- وممن وقف منه موقفا عدائيا أعرابي مجهول، أورد قصته الجاحظ في كتاب الحيوان(١٤١)، صور فيها موقف الشاعر العدائي بطريقة غير معهودة، حيث الشاعر لا يعادي الذئب بالسلاح، إنما بالكلام، إذ يكتفي -الأعرابي المفجوع بشاته- بإرسال الدعوات الحارة على هذا الذئب الجبان الذي فجعه بـ"وردة" وولى هاربًا، وعلى الرغم من شدة وقع المصيبة على قلب هذا الشاعر؛ إلا أن حدتها خفتت رويداً لأن الذئب الغادر قد ترك ابن الشويهة (ورد)، وبعض بناتها ذوات الغرر، وهذا ما جعل الشاعر يسلو ويتحمل، غير أنه مع ذلك أرسل دعوة على الذئب بأن يقيض الله له ضاريا يقصم ظهره ليموت:

آوْدَى بِوَرْدة آمِّ الوَرْدِ ذو عَسَلٍ ... مِن الذِئابِ إذا مَا رَاحَ آوْ بَكرَا
لوْلا ابنُهَا وسَلِيلاَتٌ لهَا غرَرٌ ... مَا انفكتّ العَيْنُ تَذرِي دَمْعَهَا دِرَرَا
كآنمَا الذِئبُ إذ يَعْدُو عَلى غنَمِى ... فِي الصَّبْحِ طالبُ وتر كانَ فاتَآرَا

(١٣٩) مجلة الفيصل، عدد ١٠٤، ١٢٦.

(١٤٠) الديوان ٦٦١/١، دار بيروت، ١٩٩٦م.

(١٤١) الحيوان ٢٠٣/٢، عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٨.

اعتامَها اعتامَهُ شَثْنٌ بَرَاثِنُهُ من الضّوارِي اللواتي تَقصِمُ القصَرَا

وهكذا رأينا كيف أن الشعراء- في هذه المرحلة من البحث- اتجهوا نحو الذئب اتجاها معاديا بالقتل حين يستطيعون ذلك، وبالدعوات الشديدة اللهجة حين لا يملكون حيلة عملية ممكنة، وقد رأينا ذلك في النصوص الثمانية التي تم استعراضها في هذا المبحث.

الخاتِمة

حاولت هذه الدراسة فحص موضوع الذئب في أشعار العرب في الحقبة الممتدة من العصر الجاهلي حتى سنة ٤٥٠ ه من منظور العلاقة الرابطة ما بين الشعراء والذئب، وكانت خلال ذلك تدرس تاريخية العلاقة بين الذئب والعربي، وكيف عاش العرب معه واقعيا عدوا محذورا وحسب، وخياليا عدوا وصاحبا وما بين ذلك .

وكان مما رأته الدراسة أن العرب فضلوا ذكر الذئب في أشعارهم أكثر من غيره من السباع والضواري أنه كان كثير الاحتكاك بهم، فقد جاورهم في السكنى، وعاداهم في المواقف، وشاكسهم في الحياة، كما أنه حمل سمات كثيرة هي من السمات التي يبحث عنها العربي في نفسه كالصبر والتفرد والكسب...لقد كان الموقف الطبيعي منه أن يكون موقفا عدائيا لكن مخيالهم الشعري وتفكيرهم الجمعي ذهب بهم غير هذا المذهب فجاء التعبير الشعري مخالفا للمسلك الواقعي فعبر الشعراء عن ذلك بمواقف متنوعة وهذا ما أعطى الموضوع ثراء وميزة.

لقد حصرت الدراسة في الحقبة المستهدفة العديد من النصوص الشعرية التي تناولت الذئب وفقا لأنماط علاقة الشعراء معه؛ فتم حصر سبعة وعشرين نصا منذ العصر الجاهلي حتى سنة ٤٥٠ هـ اتخذت الذئب موضوعا رئيسا لها.

وكان مما خلصت إليه الدراسة أن مواقف الشعراء من الذئب اتخذت ثلاثة اتجاهات:

مصاحبة الذئب، المحايدة، معاداته، وقد جاءت تلك المواقف متقاربة في التوزيع العددي، حيث صاحب الذئب عشرة شعراء وهم:

امرؤ القيس، تأبط شرا، المرقش الأكبر، الكميت الأسدي، أسماء الفزاري، الفرزدق في نصين، الأحيمر السعدي، أبو العلاء المعري، وشاعر مجهول.

ووقف منه محايدا أحد عشر شاعرا وهم:

الشنفرى الأزدي، قيس الفزاري، كعب بن زهير في نصين، حميد بن ثور، النابغة الجعدي، ذو الرمة، الفرزدق، الشريف المرتضى، رجل من بني سلول، وشاعر مجهول.

وعاداه ثمانية وهم:

أبو خراش الهذلي، مالك بن الريب، مجنون ليلى، الشمردل، الطرماح، البحتري، الشريف الرضي، أعرابي مجهول .

إن زوايا نظر الشعراء للذئب وفقا لمواقفهم منه لم تدرس دراسة علمية مستقلة عميقة، وقد حاولت هذه الدراسة إيجاد مدخل لذلك لعل هناك من يجتهد في استخراج المزيد من جماليات هذا الموضوع.

وأخيرا، فإنني أتوجه إلى الله جل وعلا بالحمد والشكر على أن وفقني إلى إتمام هذا البحث، وأسأله تعالى أن يكون مفيدًا للأدب والعربية.

ثبت المصادر والمراجع

[١] *أشعار اللصوص وأخبارهم*، جمع عبد المعين الملوحي، دار الحضارة الجديدة، بيروت، ط١، ١٤١٣.

[٢] *الأصمعيات* لعبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٧م.

[٣] *الأعلام*، خير الدين الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٩٢.

[٤] *الأغاني*، أبو الفرج الأصفهاني، شرحه: سمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢.
[٥] *الأمالي*، الشريف المرتضي على بن الحسين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٧.
[٦] *جامع البيان في تفسير القرآن*، محمد بن جرير الطبري، دار الباز، مكة المكرمة، ط٣، ١٣٩٨.
[٧] *جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا* ، د- يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط الأولى ، ٢٠٠٤م .
[٨] *جمهرة الأمثال*، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٣٨٤.
[٩] *حياة الحيوان الكبرى*، محمد بن موسى الدميري، دار الألباب، بيروت. بلا تاريخ.
[١٠] *الحيوان*، عثمان الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ.
[١١] *الحيوان في الأدب العربي*، شاكر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٥.
[١٢] *دراسات في الأدب العباسي* تأليف ، د- ياسين عايش خليل، دار الفكر، عمّان، ط١، ١٤٣٠هـ .
[١٣] *دراسات في النص الشعري العصر العباسي*، د- عبده بدوي، دار قباء، القاهرة، بلا تاريخ.
[١٤] *دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبني أمية*، د- عبده بدوي، دار قباء، القاهرة، بلا تاريخ.
[١٥] *ديوان الأخطل*، شرح مهدي محمد، دار الكتب العلمية،ط٢، ١٤١٤ ه.
[١٦] *ديوان امرئ القيس*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥.

[١٧]*ديوان البحتري*، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.
[١٨]*ديوان تأبط شرا*، تحقيق على ذو الفقار شاكر، مطبعة المتوسط، بيروت، ط١، ١٤٠٤.
[١٩]*ديوان حميد بن ثور الهلالي*، صنعة عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.
[٢٠]*ديوان ذي الرمة*، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٤٠٢.
[٢١]*ديوان الشريف الرضي*، دار بيروت، بيروت، ١٩٩٦م.
[٢٢]*ديوان الطرماح بن حكيم*، تحقيق عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨٨.
[٢٣]*ديوان الفرزدق*، شرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢١.
[٢٤]*ديوان المجنون*، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٩.
[٢٥]*ديوان النابغة الجعدي*، جمع وشرح عبد العزيز رباح، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٥٩.
[٢٦]*الذئب في الشعر العربي القديم الصورة والنمط الشائع*، د- فضل العماري، جامعة الملك سعود، دراسة رقم ٦٥، الرياض، ١٤١٩.
[٢٧]*الذئب في الشعر والتراث العربي*، عايد عمرو، دار فضاءات للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٨م .
[٢٨]*ذو الرمة خلاصة التجربة الصحراوية*، د- صالح سعيد آغا، دار العلم للملايين، بلا تاريخ.
[٢٩]*رسالة الصاهل والشاحج*، أبو العلاء المعرين تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥.
[٣٠]*شرح أشعار الهذليين*، الحسن السكري، تحقيق عبد الستار فراج، مطبعة المدني، القاهرة
[٣١]*شرح ديوان كعب بن زهير*، أبو سعيد السكري، الدار القومية، القاهرة، ١٣٨٥.

[٣٢]*شرح سقط الزند*، أبو العلاء المعري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.
[٣٣]*شرح لامية العرب*، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد خير الحلواني، ط١، ١٤٠٣.
[٣٤]*الشريف الرضي حياته ودراسة شعره*، د- عبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط١، ١٤٠٦.
[٣٥]*شعر الطبيعة في الأدب العربي*، د- سيد نوفل، دار المعارف، القاهرة، ط٢ بلا تاريخ.
[٣٦]*شعر الكميت بن زيد*، جمع داود سلوم، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٩.
[٣٧]*الشعر والشعراء ٥٣١*، محمد بن قتيبة، تحقيق مفيد قميحة ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥.
[٣٨]*الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عبر العصور قراءة أنثروبولوجية*، سعد بن عبد الله الصويان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ .
[٣٩]*الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري*، د- عباس مصطفى الصالحي، مطبعة دار السلام، بغداد، ط١، ١٩٧٤.
[٤٠]*الطبيعة في الشعر الجاهلين* ، د- نوري القيسي، دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ.
[٤١]*الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول*، د- أنور عليان أبو سويلم، دار العلوم، الرياض، ط٢، ١٤٠٣هـ.
[٤٢]*الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي*، د- بهيج القنطار، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
[٤٣]*عون المعبود شرح سنن أبي داود*، شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥.
[٤٤]*فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر*، محمد لطفي الصباغ، ط١، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣.

[٤٥]*فن الوصف وتطوره في الشعر العربي*، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، بلا تاريخ.
[٤٦]*كتاب الوحوش*، عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق ، د- جليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٩.
[٤٧]*لسان العرب*، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
[٤٨]*مجمع الأمثال*، أحمد الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧.
[٤٩]*المصايد والمطارد*، محمود بن الحسن كشاجم، تحقيق محمد أطلس، دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٤.
[٥٠]*المعاني الكبير*، محمد بن عبد الله بن قتيبة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٦٨.
[٥١]*معجم البلدان*، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩.
[٥٢]*المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٨.
[٥٣]*المفضليات*، للمفضل الضبي ص٢٢٦، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف ط٥.
[٥٤]*وصف الحيوان في الشعر الأندلسي*، عصر الطوائف والمرابطين، د- حازم عبد الله خضر، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٧.
[٥٥]*وصف الحيوان في الشعر الهذلي*، د- إسماعيل النتشة، نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤٠٢هـ.
[٥٦]*وصف الطبيعة في الشعر الأموي*، إسماعيل أحمد شحادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧.

Types of relationship between poets and a wolf from pre-Islamic era (Jahilia period) till 450 higri (1058 A.D.) Objective Study

Dr. Ibrahim Ali AL dughairi
Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature
Al Qassim University

Abstract. In this research, the relationship between the poets and the wolf from pre-Islamic era (Jahilia period) till 450 higri (1058 A.D.), were studied. The history of this relationship also studied. Somewhere between enmity, caution, imagination and friendship, Arabic poets lived with a wolf.

The normal feel towards wolf is enmity, but the Arabic poets fell is different, The study is carried out basically for this reason.

The results showed that, the poets interaction with the wolf can be classified into three types. In the first type, the poet considered wolf as friend, the second he considered it as enemy, and the third the poet vision towards the wolf was neutral.

The statistical results of poems related with the wolf subject showed that, the number of poets in each type is nearly equal, ten poets in the first type, eight poets in the second type, and eleven poets in the third type.